سَميرة

بنت الجَزيرة العربيَّة

وادي الدموع

قصَّة

منشورات زهير بعلبكي - بيروت

وادي الدموع





قصة

منشورات زهير بعلبكي - بيروت

طبعة جديدة

الإهداء

أمي الحنون ..

هذه ثمرة من ثمار غرسكِ ، في دوحتكِ الظليلة ، دبّجتها أفكاري .. فكم من جهدٍ بذلته في رعايتها وعنايتها ..

فإليكِ ، وإلى كل أمّ في الوجود ضحّت في سبيل أولادها ما ضحّيتِ .. وتفانَتْ كما تفانيتِ .. وبذلَتْ من نفسها وراحتها وسعادتها ما بذلتِ ..

أهدي كتابي هذا إعترافاً بفضلكِ ..

فأنعِم بكِ من أمٍّ وأكرِم .

ابنتك

سميرة

المقدمة

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن أقدم للقارىء العربي كتابي هذا الذي يحوي بين دفتيه عدة قصص قصار وقد أسميته « وادي الدموع » .

وأطلقت عليه هذا الاسم وان كان يطلق على قصة به .. لأنني أحسست بأن الأم والدموع يؤلفان قاسماً مشتركاً بين جميع قصصه التي هي مشكلات من واقع حياتنا .. ولم يدخل الخيال إلا في الأسماء . أما الأحداث فأبطالها ما زال بعضهم حتى اليوم يعيش على مسرح الحياة ..

سميرة

بنت الجزيرة العربية



دعني والأسى

ركبت وزوجي السيارة في طريقنا إلى الظهران وقد اخذت السيارة تنهب بنا الطريق .. والصمت يخيم علينـــا .. وكانت السيارة تسير وحدها . فأخذت أتطلع الى وجه زوجي فاحصة قسماته فبدت على غير عهـــدي به .. صمت مطبق . وتفكير شارد .. وعضلات وجهه تتقلص بين الفينة والأخرى .. فزاد ذلك الجو من وحشة الطريق وطولها .

فسرحت ببصري من خلال النافذة أرقب الطريق علني أجد ما يبدد ألم نفسي وضيق صدري .. فلم أر سوى صفرة الرمال الممتدة المترامية تعكس وهج الشمس وحرارتهـــا فتزيد النفس مللاً .. وكآبة . وكان ممـــا يزيد من كآبة النفس تلك الهزات العنيفـة التي كانت تصادفنـــا بين آن وآخر من جراء الحفر الموجودة بالطريـــق . وشرد ذهني الى جو آخر .. فراراً من الجو المحيط بنا داخل العربة .. قاطعاً آلافاً من الأميـــال ،

تاركاً الطريق ووحشتها ، والصحراء ورمالهـــا والشمس ، وحرارتهـا ، وزوجي وصمته المطبق الرهيب .. الى الخضرة اليانعة .. إلى السحر والجمال .. الى نسمات الاصيل المبتل بندى البحر .. إلى جبال الأرز في لبنان الحبيب ..

واستعرضت أحداث ذلك اليوم الرهيب ..

يوم أن خرجت الى النور .. اول طبعة لثالث ثمرة من ثمار قريحتي ..

وانهالت التهاني من الاصدقاء والمعارف . ولكن كان هناك إنسان واحد .. كان أولى الناس بمشاركتي هذه الفرحة ولكنه لم يفعل .. الا وهو شريك عمري .. وعماد بيتي .

ولو وقف مني ومن فرحتي موقفاً سلبياً لهان الأمر ، ولكنه أحال نهار يومي إلى سواد حالك ، ونوره الى ظلمـــة معتمة .. فلقد نظر نحوي وبين يدي ولدي الثالث فرحة به هاشة ، قائلاً في عصبية ظاهرة :

– ألم أطلب منك الكف عن الكتابة .. فكيف تتحدينني ويظهر لك هذا الكتاب ؟

فصعقت من هول المفاجأة ، وارتميت على اقرب مقعــد ، وانهمرت الدموع من عيني مبللة غلاف الكتاب .. وقلت :

– ما سبب ثورتك هذه ؟ وهل اقترفت ذنباً أو جريرة ؟

فقال :

– ما لك وكتابة القصص العاطفية ..

فتطلعت إليه باستغراب وقلت :

– وما العيب في كتابة القصص العـــاطفية ؟ أنـــ أدعو في قصصي إلى مبادىء ومثل وقيم اخلاقية ، أعرض مشكلات المجتمع وحلولها ، أسهم بنصيبي في بنـــاء صرح وطني .. وهل حرم على المرأة أن تكتب ؟

فنظر إليّ بطرف عينيه قائلاً :

– نعم ، في عرفي حرمت الكتابة على زوجتي ..

فقلت له :

– ولكن هذا ليس من العدل في شيء .. هل نسيت انني أكتب منذ عدة سنوات وقبل أن يضمنا بيت واحد . وكنت تساعدني وتشجعني .. هل نسيت كلامك لي إنني ما زلت أسمع صداه في أذني ، وأحس بحرارة أنفاسك تلهب وجهي .. لقد قلت لي في المـــاضي : « ان الكاتب كالطبيب كلاهما يداوي الجروح ولكل منهما طريقته ومنهاجه . فدعي قلمك ينساب واكتبي . »

فرد قائلاً وقد بدت الابتسامة في عينيـــه ولكنها لم تظهر على قسمات وجهه وكأنه يحاول اخفاءها :

– حقيقة ما ذكرت .. ولكن لنا عرف وتقاليد لا يمكن أن أشذ عنهـــا .. وأخرج على تقاليد أهلي .. وما شجعتك

بمذاك إلا لكي أشغل وقت فراغك .. أما الآن فلديك من
رعاية زوجك وأولادك ما يشغلك .. ثم انك ما كتبت الا لكي
يقال عنك أنك اديبة ثم تنشر صورك في الصحف والمجلات ..
أي أنك تطلبين المجد والشهرة ..

فتألمت لكلامه هذا وقلت في أسى :

– إنني لا أطلب مجداً ولا شهرة ولكنها موهبة أخدم بها
لدي ..

– يا زوجتي العزيزة .. أنسيت أننــا شرقيين وإلى الآن لم
صل امرأة في مجتمعنــــا الى ما تريدين الوصول إليه . إنك
ستمرارك في تأليف قصصك هذه تتعرضين للأقاويل .. سيقول
نك الناس أنك جريئة .. ويقول آخرون بل هو استهتــار ..
ن امتدح شخص عملك سيذمه آخر .. تعرضين نفسك لمشا كل
نت في غنى عنها .. هل تستريحين حينما يشي الواشون ويرجف
لرجفون باتهامات باطلة ..

انني أعتقد بأنه لا يوجد في عصرنا المتقدم إنسان يملك هذا
تفكير الرجعي .. وإن وجد فهو نادر .. والنادر لا حكم له ،
لا قيمة لرأيه، ما دمت قد أرضيت نفسي وضميري، وحافظت
لى سمعتي كزوجة وأم وكاتبة ، فلا يهمني حقــد حاسد ولا
مة حاقد مغرض .

– أنت لا زلت صغيرة . إن المجتمع الذي نعيش فيه ينظر

إلى تصرفات المرأة بعقليـــة متزمتة فإذا أخطأت ووضعتها الظروف في موقف حرج أصدر عليها أحكامه القاسية لأنه لم يهضم بعد كل الحريات التي ينادي بها ..

– أتريد أن تقول بأن المجتمع قد أعطى للمرأة حرية وطلب منها مقابل ذلك أن تكون دائماً على صواب ؟ أي أن تلك الحرية مشروطة ..؟

– نعم ، نعم بالتأكيد ، هذا هو الواقع .

فاندفعت أقول :

– إذن هي حرية عرجاء .. حرية زائفة لا تعطيها حقهـا النهوض والتقدم .. أتركوهـــا تكتشف نفسها بنفسها .. أتركوها تستشف ما تنبض به عروقها ويجيش بصدرها ويخفق في قلبها ويجول بخاطرها .

وهنا انفجرت باكية وصمت زوجي وظهرت على وجهـــه بوادر الغضب وشعرت بحيرة تتملكني .. إنه زوجي ولا أريد أن أقنعه بوجهة نظري ، ولكنه لا يقتنع بل يوشك أن ينفجر في وجهي مستعملاً حقه كزوج .. فأنا أقرأ خواطره كالكتاب المفتوح . لن أقبل أن يمنعني من شيء لي فيه حق . واضطرب تفكيري ومرت عليّ لحظات خلتهـــا دهراً ، وأعماني الغضب والحيرة واليأس .. أخيراً أطلق في وجهي كلماته الثائرة :

– إني أمنعك بحق كوني زوجك من الخوض في هذا الميدان ..

هل تفهمين ؟

– ورفعت رأسي في أسى وغضب جارف ، واخذت أتطلع في قسمات وجهه التي خيم عليهـــا الغضب .. لقد أصبح الجو مشحوناً والانفجـــار يوشك على الوقوع ، وطمس كل سبيل للوصول الى التفاهم بيننا .. لماذا يقف مني زوجي هذا الموقف ؟ فهو يعلم ان الكتابـــة بالنسبة لي كل شيء .. إنهـــا غريزة من غرائزي .. بل جزء من تكويني ..

وقلت وأنا أبذل آخر محاولة لمنع وقوع الانفجار :

– إن لك حقوقك الزوجية كما تقول .. ولكن ألا ترى أنه لا سلطان لمخلوق على أفكاري ؟

– ولكن لي الحق أن أمنعك من المجاهرة بما تفكرين ..

– حتى ولو كنت على خطأ ..

– ولكنك على خطأ .

– لندع حكم ذلك للجمهور عندما يقرأ قصتي ..

– بل لن توزع القصة ..

– أرجوك .. دعني أتنفس بحرية .. دعني أكتب ما أريد ..

– لا بل أمنعك ..

– أرجوك .. أتوسل اليك .. لا تكن عنيداً معي حتى لا تئد وليداً رأى نور الحياة .. وكل عمره يوم واحد .. أنت تعلم أنني حينما أمسك قلمي أعيش في عالم آخر غير عالمي هذا .. أتحوّل الى منطق يستقرىء الأشياء والنظـــائر ويدفع الحجة

بالحجة .. والبرهان بالبرهان . ليخرج في النهـــاية بنظرية سليمة ، وحكم عادل .. إنني أكون حينذاك شيئاً منفصلاً تماماً عن شخصيتي كامرأة وزوجة .. وفي هذه الحالة لي الحق المطلق في أن أمزق القيود والعادات وأثور عليها .. بل اقتلعهـــا من جذورها وأغرس غيرها إن أمكن ما دمت في نهاية الأمر أبني ولا أحطم ..

ونظر إليّ زوجي في ذهول مستوضحاً وصاح :

– ما هذا التخريف الذى تقولينه؟ لست امرأة بل فكرة.. خيال فوق الورقة أيتها المسكينة .. أنا لا اعترف بخزافـــات الكتّاب ولا افهم خيالهم إنني أعارضك من أجل مصلحتك وسعادتك ..

– أنك قد تخلق مني زوجة سعيدة وكاتبة ناجحة .. ولكن بعنادك هذا سوف تجعل مني زوجة فاشلة .

–أيهما تفضلين.. أن تكوني زوجة سعيدة أو كاتبة ناجحة ؟

وساد الصمت بيننا طويلاً وأخذت أنظر إليه في يأس ..

وعاد زوجي يقول :

– أرأيت أن ظني وشكي قد أصبح حقيقة واقعة ؟ كنت دائماً في شك من أنك تفضلين وظيفتك ككاتبة على وظيفتك كزوجة ..

وهتف به :

ـ هل قصرت يوماً في واجبي كزوجة ؟ إن كان هذا حقاً فلن أغفر لنفسي .. وإن كان باطلاً فلن أغفر لك ..

ـ أنا لا أعني تصرفاتك .. بل أعني شعورك الداخلي ..

ـ إذن لن أغفر لك ..

وفي هدوء وأسى هم بالخروج من البيت ، فأسرعت اليه وأمسكت بذراعيه .. ونظرت إلى وجهه حيث تجمعت صور لعدة سنوات مضت هي عمر زواجنا، فترقرقت دمعتان حائرتان في مقلتي ، وتلاشى غضبي ، وهدأت ثورتي تحت وطأة حبي له وعطفي عليه فقلت له :

ـ لن أدعك تذهب .. يعز عليّ أن أراك تتألم .

فأخذ وجهي بين يديه ومسح بيديه الدمعتين الحائرتين في مقلتي ، وانفرجت أسارير وجهه وأشرقت وابتسامة على شفتيه .

ولكن حبي للكتابة دفعني إلى التفكير فيها ثانية .. خصوصاً بعد أن عدت الى وطني الحجاز مهبط وحيي .. وكل بقعة فيها تذكرني بالكتابة .. شمسها المشرقة المحرقة .. صحراؤها الممتدة امتداد البصر .. رمالها الناعمة ..

ومرت الايام وأنا أعيش في دوامة مستمرة .. أفقت من شرودي على أثر ارتطام رأسي بسقف العربة .. ورأيت زوجي وقد انكفأ على عجلة القيادة يحاول السيطرة عليها بعد ان

اصطدم ببعير يعبر الطريق فصرعه وتناثرت اشلاؤه.. وأخفيت وجهي بيدي وخرجت صرخة من فمي على غير ارادتي .

واستطاع زوجي ان يتحكم في عجلة القيـــادة .. وأوقف السيارة جانباً وأخذ يهدىء من روعي .. ثم استأنف سيره ..

وقلت له عاتبة :

ـ كيف حدث هذا ؟

فنظر إليّ نظرة ذات معنى وقال :

ـ لقد كنت شارد الفكر فنحمد الله على ما حدث ..

فقلت :

ـ لقد كنت أيضاً شاردة طوال الطريق ولم افق على هذه المفاجأة ..

ـ فيم تشردين ؟

ـ كنت أتخيل ماحدث بيننا اثناء زيارتنا الاخيرة للبنان..

فقال :

ـ لقد حدث كل خير يا حبيبتي ..

فقلت :

ـ كيف يكون خيراً .. وانت تحرمني من الكتابة يعني

من الحياة .. بل حرمتني أن أجني ثمار غرسي ..

فهمس في أذني بكلمة هي أحلى ما سمعته منذ زواجنا :

ـ حبيبتي .. اكتبي ما شئت ... وتأكدي بأنني سأسعى لمساعدتك بكل مـــا لديّ من طاقات عقلية .. وروحية .. ومادية ..

وطبع على جبيني قبلة بعثت الحياة المشرقة في نفسي .



قصة أم

ولدت هالة في مدينة دمشق هي واخوتها من والدين كريمين. . وكان والدها من كبار تجار المدينة المشهود لهم بالصدق والطيبة ودماثة الأخلاق .. وفتحت عيناها على الدنيا لترى أماً مثالية ذات خلق كريم وصفات حميدة تكرس وقتها لخدمة أبنائها وزوجها ، حتى غدا بيتها مضرب المثل في النظافة والنظام وتربيتها لبنيها (أمنية كل طالب) .

كانت هالة من دون أخواتها تمتاز بطيبة القلب وحب الخير والعطف على الفقراء .. وتشربت منذ الطفولة الشجاعة والاقدام .. والاعتماد على النفس . فكانت شعلة متقدة من الذكاء ، مما حدا بوالدها أن يدخلها مدرسة فرنسية . وأقبلت على الدراسة والتحصيل مما جعل ترتيبها الأول في امتحان نهاية العام .

ولقد حدث عندما كانت في السابعة من عمرها أن سمعت

والدتها تقول لوالدهـا ، أن غساً تسلق سطح المنزل ليفترس الدواجن ، وتطلب منه أن يتربص به ليقتله .

واهتمت هالة لهذا الحديث ، ودفعها حب الاستطلاع لرؤية هذا الحيوان الخبيث الذي يفترس دواجنها العزيزة طبعاً .

وعندما خيم الليل وتأكدت بأن كل من في المنزل قد أوى الى فراشه ، تسللت هي من غرفتها ، وصعدت سطح البيت لترى هذا الحيوان وكان القمر ينير صفحة السطح .. فوقفت هالة خلف الباب تنتظر قدوم الحيوان .. وما هي إلا دقـائق حتى رأته يقفز من خلف الجـدار الى السطح .. .. فلم تفزع لرؤيته واندفعت نحوه بجرأة واطبقت على عنقه بكلتا يديهـا وداست بجسمها الصغير عليه .. وأطلقت صرخة مدوية صعد على اثرها كل من في البيت .

وكان جدها الطبيب أول من رآها بهذا المنظر ، فتعجب لشجاعة حفيدته .. ووضع الحيوان في صندوق .. وضمد جراح يديها من آثار العضة التي سببها لهـا الحيوان الصغير المفترس . وكان هذا الحادث محور حديث الاسرة والاصدقاء وخصوصاً شوقي ابن عمها الذي يشتغل مع والدها .. ويساعده في تجارته . ولقد كان يغمرها بالهدايا .. ولكن لثقل ظله .. كانت ترفض قبولها ويدفعها دافع خفي لمقته في حين ان والدها كان يثق به في جميع أعماله .. حتى أعطـاه حق التوقيع بسحب أمواله

وفي أحد الايام عاد والد هالة من عمله مكفهر الوجه وهو يلعن شوقي وينعته بكل نقيصة .. فاستوضحت زوجته الأمر فقص لها ما حدث :

إنه ابن أخي .. ربيته أحسن تربية .. ولم اختص أولادي بشيء دونه .. ووثقت به ثقتي بإبني البكر حتى تركته يتصرف في تجارتي كيف شاء وفي النهاية يسرقني .

-- وما الذي سرقه .. وهل المبلغ كبير ؟

-- لم يترك لنـــا شيئاً .. لقد حوّل كل مالي من البنوك الى حسابه السري بسويسرا .. وفرّ من المدينة ولم أعرف له اي مكان .

فبهتت الزوجة وهالها الخبر وصارت تلطم خديها قائلة :

-- لا بـــد أن تسافر للبحث عنه .. لقد قلت لك مراراً « إتقِ شر من أحسنت اليه » ..

ومرت ثلاث سنوات ووالد هالة يتنقل من بلد الى بلد عله يعثر على سارقه .. ولكن دون جدوى .. وأخيراً هداه التفكير إلى السفر للحجاز عله يجد عوضاً عما فقده .

وهناك استطاع بلباقته التعرف على كبار تجار البلد ، وعقد كثيراً من الصفقات مع بعضهم عادت عليه بالخير العميم . فطابت له الاقامة بهذا البلد الأمين فاستوطنه واستقدم زوجته وبنيه ..

واتخذوا من مكة المكرمة موطناً .. ومن سكانهـــا أهلا واصدقاء ..

وعرف بين اصدقائه بأن لديه بنات جميلات ..

فتقدم له شاب ذو مركز محترم يطلب يد ابنته الكبرى ، فزوجها اياه وانجبت فتاة لم تلبث أن أصيبت بمرض حار فيـه الاطباء . وسمع والدهـــا بقدوم طبيب شاب من أهل المدينة المنورة تخرج من جامعـــة السربون بباريس فأسرع الأب اليه واستحضره لابنته . وبعد فحصها أخبر والدهـــا بأن حالتها مستعصية نظراً لنقص نموها .. وأثناء خروجه من البيت رأى هالة تلعب في فناء المنزل مع قطتها فتملكه إعجاب شديد بجمالها الاخاذ .. ولا سيما عيناها وما حف بهما من سهام ..

وبات ليلته مسهداً وقـد أخذ منه التفكير كل مأخذ حتى حرمه النوم .

وفي الصباح أراد أن يريح نفسه ويختصر الطريق ، فذهب لوالدها خاطباً لها ، ولكنه رجع بقلب حزين لأن والدها رفض زواجها نظراً لصغر سنها . فهي لم تتجاوز بعد الثانية عشرة .

لكن الطبيب لم ييـــأس وقص قصته على شخص له نفوذ وسيطرة على أبيها فطمأن خاطره ووعده خيراً .

وفي إحدى الليالي أقنع الرجـل والد هالة بقبول الطبيب زوجاً لها نظراً لمركزه المحترم الذي يشغله وماينتظره من مستقبل

باسم . وعقد القران . وبعد مضي سنة زفت هالة الى زوجها الطبيب . وكان زواجاً ناجحاً أثمر ثلاثة بنين .. وثلاث بنات

أراد الطبيب أن يعلم أولاده فسافر بهم الى مصر .. و الاسكندرية ألحقهم بالمدارس وترك معهم والدتهم لترعاهم . وعاد الى عمله بالحجاز .

عكفت الأم على تربية أولادها واوقفت نفسها على خدمتهم وراحتهم .. فكانت لهم الأم والأب .. تسهر معهم مشجعة لهم على المثابرة على تحصيل الدروس وتبث فيهم من روحها الوثابة طلباً للتقدم .. فكانوا إذا مـــا انتهوا من استذكار للدروس جمعتهم حولها تقص عليهم سير الأولين وأمجاد مواطنيهم مما يشوقهم الى طلب المزيد .

وبعد مضي سنة طلب الطبيب الزوج من زوجته هالة أن تدخل أولاده مدارس داخلية وتعود الى أرض الحجـاز لتقيم معه ، لأنه ملّ الوحدة . فاستجابت الزوجة هالة لطلب زوجها وسافرت الى الحجاز تاركة فلذات كبدها في مدارسهم . وقد حدث أن بلغ الوالدين خـبر هروب ابنتهما من المدرسة التي تتجـــاوز الثامنة من عمرها .. فعرف الأب بأن اولاده لم يستطيعوا العيش بدون أمهم .

وإزاء ذلك ، وحرصـــاً من الوالدين على تعليم أولادهم عادت الزوجة الى بيتها بالاسكندرية تاركة زوجها يعاني مرارة

الوحدة والحرمان .

مرت الايام تعقبها السنين .. والأم في تفانيهـــا في خدمة ابنائها .. والاب يتردد من آن لآخر لرؤيتهم بالاسكندرية ..

حتى جاء الخبر الى الزوجة المتفانية في خدمـة بنيها والتي قدمت راحتها وسعادتها قرباناً للأمومة الحق .. والزوجـــة المخلصة .. بأن زوجهــا قد جاء بزوجة ثانيـة تملأ عليه فراغ وحدته .. وانجب منها اولاداً ..

فتلقت هالة تلك الطعنة بالشجاعة والصبر، ولم تبك كما تبكي الضعيفات من النساء ؛ ولم تولول كما يولولن ، ولكنهــا رفعت رأسها بإباء ، وفي عزة وإكبار وقالت لابنائها : « ما قد حدث من والدكم ما حدث ... وما سمعتم به ، ولولاكم ما صبرت على تلك الإهانة لحظة . ولكني سأتجمل بالصبر .. ومن الآن ثقوا بأني سأتخذ من والدكم صديقاً ليتفرغ لحياته .. وأتفرغ لحياتي معكم » .

وبعد عدة ايام من سماع ذلك الخبر حضر الطبيب الزوج من أرض الحجاز ليزور اولاده وزوجته كعادته .

وصارحته هالة بما سمعت فسريعاً ما بدا عليه الارتباك .

وقال :

— اضطررت للزواج لكي أجد من تخدمني ... وتسهر على راحتي .. ولقد فضلت أولادك عليّ فدفعتني الى الزواج دفعاً .

فقالت :

– إنني ما بعدت عنك عن طواعيـة .. ولكنني كنت مكرهة على ذلك حرصاً على مستقبل أولادنا ، ولولا تضحيق تلك لنشأ اولادك جهلة ..

فقال لها :

– لا داعي للنقاش ولنرضى بالواقع ..

فابتسمت في مرارة ودمعت عيناها وقالت :

– قد اتخذت لنفسك حياة جديدة فأهنأ بها واتركني لحياتي.

فقال لها في خوف ظاهر :

– ماذا تقصدين ؟ أتطلبين الطلاق ؟

فقالت :

– لا .. حرصاً على كرامة اولادي .. ولكنني أردت أن نعيش أصدقاء .

فقال لها في تعجب :

– كيف يكون الزوج صديقاً لزوجته ؟

فقالت :

– حينما تثور الزوجة لكرامتها .. وتحـاول الحفاظ على كرامة بنيها .. فتؤثر صداقة زوجها على الطلاق منه مختارة .. وهذا أخف الضرر .

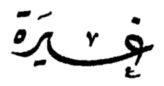
فابتسم الزوج في خجل ظاهر ورضيَ بالواقـع .. تاركاً للأيام أن تدمل جراح زوجته الحبيبة لكي تغفر له غلطته .

وتمر الاعوام ويكبر ابناؤها والأب مـا زال يتردد عليهم بالاسكندرية.. ولم تغير الزوجة من موقفها تجاه والد ابنائها.. فكان يجد عندها ، كل راحة واحترام واعتزاز . فاعتاد هذه الحياة عندها ، وزاد احترامه لها حينما وجد ابناءه قد تخرجوا من الجامعات يحملون أعلى الدرجات العلمية .. فهذا تاجر ناجح وذلك مهندس مشهور وآخر سياسي بارع وهذه كاتبة ممتازة وتلك رسامة بارعة واخرى فنانة ديكور ..

وتزوج ابناؤها جميعاً .. واصبحت جدة .

وما زالت هالة زوجة الطبيب المخلصة والام الرؤوم في ربيع عمرها .. وريعان شبابها ونضارة صباها .. واكتمال انوثتها ..

فعاود الطبيب الكرة يحاول إرضاء زوجته كي يبدأ صفحة جديدة من حياتهما الزوجية . ولكن هالة أبت الا ان تكرس حياتها لأحفادها .. كما كرستها لبنيها من قبل . فأكرم بها من أم مثالية كرست حياتها لبنيها .. وانعم بها من زوجة حافظت على سمعة زوجها وكرامة بنيها وقدمت للوطن رجالاً يعملون على رفعة شأنه .


غيرة

تناول حازم جريدة « البلاد » يتصفحها بينما كانت سرى ترقبه عن كثب ، وقد غمرت السعادة قلبهـا ، وتملك الغرور نفسها — بدأت تتأمل زوجها وكأنها تراه لأول مرة .. قامـة مديدة .. وعينان سوداوان يشع منهما بريق إن دلّ على شيء فإنما يدل على ذكاء صاحبها، وبشرة سمراء وساعدان مفتولان.. وبالاضافة الى ذلك رقته في المعاملة ، وحديثه الساحر ، أي أنه فارس أحلام كل فتاة .. كل ذلك جعلها تفتن به لدرجة الجنون أحبته حباً جارفاً وجلست بجانبه على الأريكة مطوقـة إياه بذراعيها قائلة :

— أتحبني حقاً يا حازم ؟

فقال في ضيق :

— ألا تشعرين بحبي لك ؟

وأخذت تمرر يدها على شعره الفاحم وتتأمل محياه الجميل قائلـة :

– لا ادري ماذا أفعل بك لو فتر حبك لي يوماً ما .

– فنظر إليها من خلال أهدابه نظرة صابرة متفجرة متعبة وقال :

– ما هذه الاوهام التي تشغلين نفسك بها . إن شعوري نحوك لن يتغير ، وحبي لك لن يتبدل .

هكذا كان يعيش حازم منذ ان تزوج سرى. إنها لا تكف عن الشك والغيرة . إنها دائمة الخوف . ويزداد خوفها بمرور الأيام .. وتوالي السنين .. انها تخاف هجره وتفكر فيه .. وتصبح كل حياتها مجرد تفكير في هذا الأمر الذي لم يقع بعد . وانقلبت حياتها الى جحيم مستعر وغيرة حمقاء مدمرة تسيطر عليها .

كانت تغار عليه من كل امرأة .. كانت لا تزور الجميلات من صواحبها لكي لا تزار وتحاول جاهدة استبقاءه في البيت بعد الانتهاء من عمله وتلازمه كالظل .. وتراقبه مراقبة الجواسيس .. وتصرف عنه الاهل والاصدقاء ، ثم تجلس أمامه أو بجواره تحملق في وجهه تحاول أن تسبر غوره .. وتطلع على مكنون صدره وتقف على ما يجول بخاطره وفكره .. وتعد عليه كلماته .. وتحاسبه على الصغير من هفواته التي يجسمها خيالها الملتهب الأناني المريض .

فاذا ما تأنق في ملبسه تجهمت واعتقدت انه ما تأنق إلا

لسواهـــا .. واذا بدا ضاحكاً منشرح الصدر عبست وتوهمت ان مصدر سعادته امرأة غيرها . وقد حدث ان كانا مدعوين في حفل عند أحد الاصدقاء .. وثار نقــاش بين أحد المدعوين وزوجة صاحب البيت .. وكان حازم يؤيد رأي صاحبة المنزل وقال لها :

– اني اشاركك الرأي حول وجوب تعلم الفتاة حتى تصبح زوجة مثالية تفهم طباع وميول زوجها وتدرك تمــام الادراك كيف يجب معاملة الأزواج .. وإن لمست في نفسهـــا عيباً سارعت الى اصلاحه .

فكشرت سرى عن أنيابها وساءها حديث زوجها بادعائها المرض المفاجيء وطلبت منه أن يصحبها للبيت ، وحين عادت الى البيت أخذت تعاتبه ، ولكن سريعاً ما لاطفته كي لا يثور عليها ، وعادت تقطع عليه حبل تفكيره وتشغله عن الاجابة ، وتباعد بينه وبين العالم ، فيتحول إلى عاشق مفتون لا يعنيــه من الحياة بأسرها سوى ارضاء زوجته .

ولم تشعر سرى على مر السنين ان قلبها يخدعها وخوفهـــا يغرر بها ، وهواجس نفسها المضطربة لا تنفك تورطها في اعمال وتصرفات خاطئة . لم تشعر أن حبها المستبد المقرون بغيرة حمقاء يؤثر على مهل في شخصية زوجها المسكين ، ويبدل من جوهر هذه الشخصية شيئاً فشيئاً ..

يلبث ان تبرم به فخنقته شكوكها ، وحاصرته غيرتهـــا ..
وضيقت عليه الخناق وأحس أنه لم يتزوج لينعم بالحيـــاة بل
ليودعها .. ولا ليستقبل الهدوء بل الفوضى .. وبات يشعر أن
زواجه أصبح قيـــداً .. وبيته صار سجناً .. لم يطق الزوج
احتمال الحب ولا احتمال الغيرة .. وأراد أن يتخلص .. أن
يتحرر .. أن يخرج الى الحياة .. الى الناس .. ويخالطهم عندما
يشاء ووقت ما يريد .. أخذ يبالغ في التأنق.. ويخرج كل ليلة..
ولا يعود لبيته إلا مع إشراقة الصبـــاح حيث يلهو ويمرح مع
الاصدقاء فجن جنون سرى واتقدت هواجسهـــا ، وتضاعفت
غيرتها وتملكها الحمق وسيطر على تصرفاتها .. كانت تحنو عليه
فأصبحت قاسية .. كانت رقيقة فأصبحت غليظة سريعـــة
الانفعال ، عصبية المزاج الى حد زائد .

وفي احدى الليالي قطع حازم سهرته مع اصدقائه لشعوره
بصداع شديد ، وعاد الى منزله . وعندما اقترب منه رآه على
غير عادته به . رأى غرفه مضاءة وبداخـله أناس كثيرون ..
فأسرع في مشيته حتى اجتاز بابه المفتوح على مصراعيه فرأى
جيرانه يرمقونه بنظرات الاستهزاء والاستخفاف فأسرع باتجاه
حجرة نومه يسأل عن سرى ولكن إحدى الجارات منعته من
الدخول وقالت له ان الطبيب بالداخل . وجاءه صديق قديم من
جيرانه وأخبره بأن زوجته استنجدت به لاستحضـــار طبيب

لشعورها بضيق في التنفس واغمي عليها.. فأبقى الرجل زوجته معها وأسرع لاستحضار الطبيب . وفي تلك اللحظـــة خرج الطبيب من الغرفة فأسرع إليه حازم يستفسر عن صحة سرى :

— كيف حالها الآن يا دكتور .. أنا زوجها .. أريد أن ان اطمئن عليها .

فنظر اليه الطبيب نظرة فاحصة وقال في تأثر :

— يؤسفني ان اخبرك بأن زوجتك تعاني أزمة قلبية حادة .

فقال حازم في هستريا :

— أزمة قلبية ؟.. مستحيل .. ارجوك ..

ارجوك يا دكتور .. أنقذها ..

فرد عليه الطبيب :

— هوّن عليك .. وسنبذل كل ما في وسعنا ..

فاندفع مسرعاً الى زوجته ووقف في ذهول أمام سريرهـا وقال في أسف :

— سرى .. سوف أسهر على راحتـك .. لن أترك البيت دقيقة واحدة ..

فنظرت اليه نظرة كلها إعياء وقالت :

— حازم .. حبيبي .. أتحبني ؟

فقال :

— نعم أحبك .. وأكثر من الحياة ..

فقالت .

– إن كنت تحبني فعد إليّ .. عد الى منزلـك .. عد الى سرى .. كما كنت من قبل ..

فقال :

– سرى .. سأعود الى البيت .. سأعود اليك .. سأكون لك كما تريدين .. ولكن لا ترهقي نفسك بالتفكير والأوهام .

ونزل على حكم زوجته واجابها مختاراً إلى كل مـا تريد .. وأنكر نفسه .. وتفانى في خدمتها .. ولفظ الحيـاة مودعاً اصدقاءه .. وكفّ عن الخروج .. ولزم البيت وأولع بالسكون .. وهام بالوحدة .. واستراح إلى الكسل ونبذ الاناقة .. وهجر المرح .. وأصبح يغدو ويروح في البيت كالكهل المتقاعد يقضي وقته في القراءة والمطالعة .

وظن حازم ان حياته الجديدة سترضي سرى .. ولكنها لم ترض .. ولم تهدأ .. كانت تريده لها وحدهـا محتفظاً بأناقته حريصاً عليها .. تتباهى وتتفاخر به أترابها .

فلما رأت الاناقة قد فارقته ، والرشاقة قد ودعته وأصبح يمشي وكأنه كتلة لحم متحركة .. عزّ عليهـا أن تراه في تلك الهيئة الجديدة فانهالت عليه لوماً وتأنيباً تحـاول أن تبدل شخصيته مرة اخرى .. وتوده كما كانت تحبه .. رجلا ساحراً .. وسيماً .

وبهت حازم لانقلابهـــا المفاجيء وهي المريضة .. وحار في امرها .. ولم يدرِ كيف يرضيها .. فأمعنت في لومه وأبت إلا ان يعود كما كان .. ولكن ثار حـازم .. وهدد .. وتوعد ولأول مرة في حياته ثبت أمامها .. وتحدى جبروتهـــا .. وتشبث بموقفه ودافع عن راحته .. ورفض كل الرفض ان يعود الى الماضي خشية أن يعود الى العذاب الذي كان فيه .. ولكي يقطع كل امل لها في تعديل حيـــاته الجديدة ، أمعن في طلب الكسل .. والخمول . والوحـــدة .. فماتت همته .. واصبح لا يهمه من الحياة وامرها سوى الأكل .. والنوم .. والصمت .. والحلم .

وتأملته سرى .. وجن جنونها .. لم تستطع أن تصدق ان ذلك الرجل التافه هو حازم .. لم تستطع أن تتصور ان ذلك المخلوق هو حبيبها .. هدفا منه أن يطعنها في خيالها ويصيبها في عزة نفسها .. ويذل كبرياءها أمام أترابها .. فازداد عليها المرض .. وكثرت نوبات القلب الى ان هزلت ، وخارت قواها، ولفظت انفاسها الأخيرة .

ووقف حازم في أسى .. وألم .. أمام قبرها

يقول :

– كم أحببتك ايتها المسكينة .. وكم أشقيتِ نفسك بغيرتك الحمقـــاء .



جهاد

الجو حارّ بطبيعته .. وتزداد حرارته عندما تصل الشمس الى كبد السماء ، وتبعث لهيبهـــا ليلفح وجوه المقيمين بجدة ، عروس البحر الاحمر .. فيهرعون الى شاطئه يطفئون في مياهه حرارة أنفسهم .. ويستريحون من جهد حياتهم اليومية . وقد صفت المنازل الأنيقة على شاطىء البحر تستقبل سكانها المتعبين.

كان الشيخ علي يملك منزلاً جميلاً من هذه المنازل المطلة على ساحل البحر ، أمامه فسحة كبيرة اتخذ من بعضها حديقة .. وترك الباقي ليتخذه اولاده ملعباً لكرتهم .. ولقد شيّد هذا المنزل ليقيم فيه خلال فصل الصيف .. ويمرح فيه اولاده خلال عطلتهم المدرسيـــة . وكان الشيخ علي تاجراً مشهوراً ميسور الحال ورث عن أبيه محلاً كبيراً لتجارة الأقمشة وتزوج الشيـخ علي .. ورزقه الله بطفلة في نهاية السنه الأولى لزواجه واسماها جهـــاد .

ومرت الأعوام وترعرت الفتاة .. ولم يُرزق بعدهـا . فتاقت نفسه للولد .. لولد يكون وارثاً لأبيه من بعده ويحمل اسم العائلة .. وسنداً لأخته على عوادي الزمن ، وحصناً لأمه من عاديات الأيام .

وكان يحاول جاهداً إخفاء شعوره هذا عن زوجته الحبيبة لكي لا يؤذيها .

ولكن شعوره هذا لم يخف عليها . فكانت تتألم كثيراً .. وماذا تفعل؟ هل بيدها شيء ؟ إنها لم تترك وصفة الا ونفذتها.. ولا طبيبـاً الا وزارته .. ولم تكف عن التردد الى بيت الله الحرام .. تطوف حول الكعبة الشريفة دامعة العين .. حزينة النفس .. تقضي ساعة طويلة متعلقة بأستار الكعبة ، داعية ربها أن يرزقها بولد تقرّ به عين زوجهـا ، وتطمئن لقدومه نفسهـا .

وكان مما يزيد في إيلامها ان اهل زوجها يجاهرون برغبـة زوجها أمامها .. بل يدفعونه للزواج من غيرها عسى الله ان يرزقه بولد يروي غلته ، ويزيل شوقه .

وتتوالى الأيام وهي على هذا الحال .. وتنقذها السماء ممـا هي فيه ، وترزق بولدين توأمين .. فتستقر حال الاسرة ويهدأ بالها .. وترفرف السعادة عليهم .

كانت جهاد صورة مصغرة من أمها . متوسطة الجمـال ..

واسعة الذكاء .. سريعة الخاطر .. حاضرة البديهة .. رقيقة الاحساس .. فياضة الشعور .. مما حدا بأبيهــا أن يرسلها الى مصر لتنال حظهـا من المعرفة والثقــافة ؛ فالتحقت بمدرسة داخليـة .

ومنذ اول يوم تلقت فيه دروسها أظهرت نبوغـاً ليس له نظير .. ولفتت إليها أنظـار أساتذتها ، فأقبلوا عليها يروون ظمأها للمعرفة فأخذت الكثير من المعارف في زمن وجيز .

وكانت معجبة بصفات أبيهــا : من صدق ، وأمانة ، واجتهاد في عمله ، وشجاعة ، ومروءة ، وكرم ، وعزة نفس ، ورقة إحساس ، ويقظة ضمير .. وهي الصفات اللازمة عـادة لكل سيد له مكانته العالية في مجتمعه . لذا كانت تراه المثل الأعلى منذ نعومة اظفارها .

وتمر الأيام ، وحال جهاد على ما هي عليه من الجد والاجتهاد في دروسها حتى تنهي دراستها الثانوية بتفوق .

وتدخل الجامعة .. وتصبح طالبة بكلية التجارة .. ويزداد اجتهادها ويتسع نشاطها داخل الكلية ضاربة بذلك مثلاً لأخويها اللذين حضرا من جدة للتعلم بمصر .

ومرت سنتان على دراستها بكلية التجارة ، وعلى أخويهـا بالتعليم الابتدائي .. وعادت وأخويهــا الى جدة ليقضوا فترة الاجازة الصيفية كعادتهم بين والديهم وذويهم .

وفي ظهر يوم من الايام ما زالت جهاد تذكره ، وقد عاد والدها من عمله محمولاً على الأعناق . واستدعوا له الطبيب الذي أخبرهم بأنه أصيب بشلل .

وتعرف الاسرة سبب مرضه .. لقد شب اليوم حريق بمحله وأتى على كل ما فيه .. وضاعت أموالهم طعاماً للنيران .. ولم يتحمل الرجل الصدمة .. فأغمي عليه وحمله عماله الى منزله .

وتهرب السعادة من البيت الذي طالما رفرفت عليه .. وتتحمل الاسرة مصيبتها بشجاعة .. ويطول علاج الأب حتى ينطلق لسانه ويستطيع الكلام ، ولكنه بقيَ جثةً ملقاة على السرير .. وتأتي الادوية على مدخرات الاسرة ، وما زال غول العلاج فاغراً فاه يطلب المزيد .. فتكثر الديون وتبحث الام المسكينة حولها ، فلا تجد سوى أثاث المنزل وجدرانه .

وكان للاسرة صديق حميم يدعى عدنان الطيب يملك شركة للاستيراد والتصدير تدر عليه أرباحاً مرضية ، لم يكف يوماً عن زيارتهم منذ ان حل بهم ما حل ..

وقد حدث ان جاء لزيارتهم كعادته ليقضي وقتاً مع صديق العمر الشيخ علي فرأى الغضب بادياً على وجهه فسأله :

— ماذا حدث ؟. هل تشكو ألماً جديداً ؟

— نعم ..

— من أي مكان من جسدك ؟

– ليس الألم من جسدي ..

– أخبرني بربك .. ماذا بك ؟

– جهاد ابنتي .. جاءت اليوم تطلب مني السماح لها بالتوظف . أسمعت عن فتاة توظفت في بلدنا ؟.. إنهـــا تريد أن تجعلني اضحوكة في البلد ..

– إسمع يا شيخ علي .. أنت صديق عمري .. بل أخي .. فخذ هذا المبلغ قرضاً حتى تشفى وتستود مركزك .. ولا أظن ان جهاد ستحتاج للعمل .

– يا أخي .. ليس الحال كما تظن فلا زلنا بخير والحمد لله ..

– لا تكن عنيداً يا صديقي .. خذ المبلغ واحفظه عندك للحاجـة ..

وانصرف الصديق بعد ان ترك للشيخ علي المبلغ على المائدة .

وتدخل جهاد على أبيها لكي تكمل حديثهـــا الذي قطعه الصديق بزيارته فتلمح النقود على المائدة .. فتثور من الغضب :

– أبي .. لماذا أرسلتني الى المدارس ؟

– لتتعلمي ..

– وما فائدة التعليم ؟

– يا بنيتي . ليس هنـــاك من يجهل فائدة العلم والتعليم . وخصوصاً بالنسبة للفتاة ..

– ما فائدة اني متعلمة أحمل شهادة ولا استطيع التوظف

عندما تكون في أشد الحاجة الى الوظيفة ..

ـ ولكن يا ابنتي ..

فقاطعته جهاد ونظرت إلى النقود الموضوعة على المائدة :

ـ أليس ذلك أفضل من الاحتياج للغير ؟

ـ عندما أشفى سأسدد كل هذه الديون ..

ـ يا أبي .. هل الوظيفة ثمرة من ثمار التعليم أم لا ؟

ـ نعم .. ولكن ذلك بالنسبة للفتى وحده ..

ـ ولماذا ؟

ـ لأن تقاليدنا لم تسمح بعد للفتاة أن تعمل ..

ـ وهل العمل عيب ؟ إن العمل شرف .. ان العمل كرامة طالما كانت الفتاة العاملة متمسكة بأهداب الفضيلة متحلية بالاخلاق الكريمة ..

ـ دعينا من هذا الكلام .. وسوف يكتب الله لي الشفاء وتعودين لكليتك وتستكملين تعليمك لتكوني ربة بيت ممتازة ..

وبعد أيام قليلة اشتدت العلة بالشيخ علي وصعدت على اثرها روحه الى بارئها تاركاً وراءه زوجه المخلصة .. واولاده الصغار ولا عائل لهم سوى الله .

ورأت جهاد ان واجبها يحتم عليها أن تخرج الى الحياة العملية كي تعول هذه الاسرة . ولم لا وهي أكبر أخواتها ؟ علاوة على أنها تحمل مؤهلاً لا بأس به .

وذهبت الى صديق الاسرة السيد عدنان الطيب ، وما ان أفضت إليه بطلبها حتى تعجب الرجل وأخبرها بأنها ستكون اول فتاة تعمل في البلد . ولكنها سريعاً ما أقنعته بوجهة نظرها، خصوصاً وأنها أصبحت العائل الوحيد للأسرة . فأعجب الرجل بها أيما إعجاب .. وأجابها الى طلبها وألحقها بشركته بمرتب لا بأس به ، وعادت الى بيتها لتخبر أمها بما فعلت .

فاسودت الدنيا في عيني الأم خوفاً على ابنتها ، وقلقاً على مستقبلها ، ولكن ماذا تفعل، ومن أين تنفق على هذه الاسرة ؟

ذهبت جهاد في الصباح لمقر الشركة لتتسلم عملها الجديد .. وأفرد لهـا مكتب خاص ، وزاولت عملهـا بهمة ونشاط ملحوظين ، مما جعل رؤساءها يحترمونها ، وزاد من تقديرهم لها انتسابها لجامعة الرياض لكي تستكمل دراستهـا . وانتخبت عضواً بمجلس ادارة الشركة بعد ان نالت بكالوريوس التجارة مع جائزة التفوق .. ودفعها نجاحها للتقدم من الشركة بعدة اقتراحات عادت على الشركة وعليها بالخير العميم . فقد جعلوا لهـا نسبة من الربح ، فتحسنت معيشة الاسرة .. وسددت الديون . وأنفقت على تعليم اخويها بسخاء حتى عوّضا مـا فاتهما أيام حرمانهما بفقد والدهما .

وكانت جهاد حديث كل أسرة يضرب بها المثل في الذكاء .. والتضحية والشجاعة .. تلك الفتاة التي خرجت بعد أبيهـا

لتمول أسرتها وتنقذ اهلها من الجوع ، وتلتحق بعمـــل صغير بشركة متوسطة فتبني لها وللشركة مستقبلاً زاهراً ، وتدفـع بالشركة الى الصفوف الأولى وتصبح هي عمودها الفقري .

وأقبل عليها الخطاب من أحسن رجال البلد ، ولكنهـــا رفضت حتى لا تقصر عن تعليم أخويها .

وتمر الاعوام وهي تصعد درج المجـــد والعزة عن تصميم واخلاص . وتخرج أخواها بعد اتمام تعليمهما الجامعي : أحدهما طبيب جراح والثاني مهندس كيميائي بشركة البترول .

ويحاول الاخوان أن يعرضا على أختهما ان تستريح بالمنزل بعدما قامت بواجبها ولكنها ترفض قائلة :

– كيف أقبع في المنزل باسم الراحة ؟ إن الحياة عمل ونشاط .. ولقد بنيت في حياتي مجداً .. وأي مجد .. كفاني اليوم أنني حطمت الاسطورة القائلة بأن الفتاة مـــا خلقت إلا للمنزل .

ولم تزل جهاد حتى يومنا هذا تعمـل جاهدة لتثبت حق المرأة في ميدان العمل الحر الشريف .



جناية أب

صاح السيد سامي بأعلى صوته موجهاً كلامه لابنته «نهاية».

— منذ متى تقول الفتاة لا أريد هذا الرجل .. زوجاً ؟ سوف تتزوجين الشخص الذي أحدده أنا .. والذي أختاره .

ونظرت إلى أمها في توسل ولم تقوَ على الكلام وخانتها قواها . فانخرطت في البكاء والنحيب فاحتضنتها أمها وأخذتها بين ذراعيها وصارت تربت على ظهرها في حنان ظاهر . وهمست في أذنها :

يا بنيتي .. إنه عريس ممتاز .. ومركزه محترم.. انه غني.. وسوف ينفق عليك بسخاء ولقد اتفق والدك معه .. ولا يستطيع أن يسحب كلامه . ان بنات الحي يحسدنك عليه .. غداً تصبحين سيدة ذلك القصر المنيف الآمرة فيه .. حولك الخدم والحشم . أنت يا بنيتي صغيرة ولا تعرفين مصلحتك .. ونحن والديك أدرى الناس بالصالح لك . هل تريدين الزواج من شاب فقير ..

لكي تعيشي حياة الفقر مثل أمك ؟

وهالها الروع من منطق أمها وهي الحصن الأخير لها من جبروت والدها .

ومن خلال دموعها قالت بصوت أقرب الى الأنين منه الى الكلام :

— حتى أنت يا أمي .. لقد خلتــك المنقذة لي من ورطتي هذه .. فاستجرت بك ولكني كالمستجير من الرمضاء بالنار .. وماذا أفعل وقد قدر لي ان أباع لهذا الكهل الثري الفــاني ؟ هل أعماكما ثراؤه فلم تريا شيخوخته ؟.. وهـــل بهركما منظره فشلّ تفكيركما ؟ وهل جردكما ثراؤه من كل معنى للشفقة والرحمة وحنان الأبوة والأمومة ؟ ألم يدر بخلدكما وأنتما توافقان على بيعي باسم الزواج ؟ انكما تحكمان عليّ بالموت !

وراحت في غيبوبة ولم تفق إلا في صباح اليوم التــالي .. وحدد موعد الزفاف .. زفاف « نهاية » الى عريسها الكهل الفاني المتداعي ، وألبسوها ثوب العرس وكأنهم أدرجوهـــا في الكفن ، وقام اهلهــا بإيصالها إلى بيت الزوجية وكأنهم شيعوها لمقرها الأخير .

وأفرد لها زوجها منزلاً بعيداً عن ولديه الشابين وأمهما .. وتأنق في تأسيسه وزخرفته وفرشه بكلِ ما غلا ثمنه .. وعكف على توفير الراحة والسعادة لزوجته الصغيرة الحسناء .. ووضع

المال بين يديهـا تتصرف فيه كيفما شاءت وحسبما أرادت .. وغمرها بالهدايا الثمينة بمناسبة وغيرها .

ولكن كل ذلك لم يزد « نهاية » إلا حزناً على حزن ، وهماً على هم .. فكانت كسيرة الخاطر ، بائسة النفس ، دامعة العين .

وقلق الكهل على عروسه الصغيرة الحسناء ، ولم يستطع أن يخرجها عن وحدتها وعزلتها رغم مـا يحيطها به من صنوف الرعاية ، والعناية . حاول جاهداً التقرب من قلبهـا فلم يزده ذلك إلا شعوراً ببعدها عنه .

وذات مساء قال لها :

- ما بك يا حبيبتي ؟ ولماذا هذا الحزن المخيم عليـك ؟ هل قصرت في استجلاب الهدايا لك ؟ هل بخلت عليك بمال .. هل أساء اليك أحد من الخدم ؟

فنظرت إليه في أسى ووجوم ولسان حالها يقول : « مـا أتفه تفكيرك وأحط منطقك ! » .. وقالت بصوت خفيض :

- لا شيء .. لا شيء بالمرة ..

فحملق في وجهها وقال :

- إنني لا أريد إلا سعادتك .. فاطلبي ما تشائين .. انت أملي .. أنت مبعث سعادتي ..

فرنت إليه بطرف عينيها وقالت في نفسها : « أنا أملك ، وأملي أن يريحني الله منك .. أنا مبعث سعادتك ، وانت مبعث

شقائي وعذابي . ثم خرجت من فمها على غير إرادة منها :

– ليتني أموت لأستريح ...

فهتف زوجها في ذلة وانكسار :

– لماذا تطلبين الموت يا نهاية ؟ أيكون الموت أفضل لديك من الحياة معي ؟ إنني أحبك يا نهاية.. فلماذا تعذبينني هكذا ؟

فهمست « نهاية » وهي تمسح دموعها :

– لا .. لا .. مـــا هذا قصدت .. إنك لم تسىء إليّ ولكن ..

ثم أطرقت الى الأرض ملياً فقال لها :

– إذن ما سبب حزنك وشحوب لونك وذهولك المستمر ، حتى صرت كأنك بعثت اليوم من قبرك ..

وهال نهاية ما وقعت فيه من حرج ، فلقد اعترفت لزوجها بانها تعسة معذبة تطلب الموت .. هل تواصل اعترافاتها بأنهـا لا تحبه ولا تليق به كزوجة وهو لا يصلح لها زوجاً ، أو أباً على الأقل .. وحار تفكيرها بماذا تجيب ؟.. وبعد فترة قصيرة أجابت وكأن السماء أدركتها بهذا الجواب :

– إن افتراقي عن أهلي هو سبب حزني الدائم ..

وتنفس الزوج في ارتياح وقال في حنان :

– سوف ادعو والدك للاقامة معنا في البيت .

ومرت الايام ... وافرغت العروس ما في عينيها من دموع

على حظها البائس وطالعها المنكوب .

لقد كان زوجها من المترمتين بطبعه . لا يحب أن يزور أحداً حتى لا يزوره أحد .. بمعنى أنه لا يختلط بأحد ولا يدخل منزله أحد .. وان حدث فهو نادر .. كما خصص لحجرة الضيوف باباً من خارج المنزل ... فإن لديه زوجة صغيرة السن وجميلة .. وهو قد ودع شبابه منذ عشرين عاماً تقريباً فأصبح بقايا رجل .

وصبرت « نهاية » على ما بها عسى الله أن يجعل لها من الغد فرجاً من أمرها .. ومخرجاً . وتحسنت صحتها وترعرع شبابها فأضفت عليها الطبيعة من فيوض الجمال ما جعلها تفيض حيوية ونشاطاً .

وكانت كلما تقدمت صحتها ازدادت جمالاً وتبلورت انوثتها .. تقدم السن بزوجها .. وكثرت علله وأمراضه حتى أصابه مرض عضال ألزمه فراشه .. فأصبحت « نهاية » تعمل في البيت زوجة في وظيفة ممرضة تسهر عليه الليل وتلازمه طوال النهار .

وذات يوم كان قد أنهكها التعب .. جلست تحت ظل شجرة بحديقة الدار .. ولكنها رأت من يراقب حركاتها .. وسكناتها .. وجدت شاباً بحديقة الدار .. لم تره من قبل فسارت اليه في خطوات وئيدة تستطلع ما جاء به وما ان

وصلت اليه حتى كانت قـــد تفرست فيه فإذا هو شاب وسيم يمتلىء قوة .. وحيوية ونشاطاً ..

فقالت تسأله :

— من أنت وما حاجتك ؟

فرد عليها الشاب في أدب ظاهر :

— أنا عادل السيد .. إبن زوجك ..

— عادل ! ولكن لماذا لم تأت من قبل ؟

لقد حضرت اليوم لزيارة أبي فلمحتك تجلسين هنـــا بمفردك فتعجبت .. كيف تتركين زوجك بمفرده عليلاً ..

— أنت الآن تعتب على جلوسي وحــــدي وتركي المريض وحده ؟.. لماذا لم تأت لتجلس اليه ؟ إنني ما قصرت في خدمته طوال مرضه ولكني لم أرك مرة واحدة تأتي لزيارته ...

— إن عدم حضوري لزيارة والدي سببه وجودك أنت ..

— أنا ؟ لماذا ؟

— أنتن هكذا يا ..

فأجابت :

— أرجوك .. إنني لم أسىء لكم أي إساءة قط .. ولكن والدك هو الذي أساء لي ولكم .. وهل نسيت أنني اصغر منك بكثير ..

— ولكن ..

– لا يا سيدي .. لقد استطاع والدك أن يشتريني من أب قليل التفكير .. قليل الخبرة بالحياة ..

فابتسم عادل وقال :

– آسف يا سيدتي .. فلقد حسبتك منهن .. ولكن .. أكرّر أسفي .. والآن هل تسمحي لي بأن أرى والدي ؟

– تفضل .. وأرجو أن يكون قد استيقظ من نومه .. فلقد كانت ليلة الأمس متعبة بالنسبة له .

ثم صعدا الى المنزل .. وأشارت لعادل تدله على حجرة النوم ففتح عادل الباب ببطء وحذر شديد فرأى والده قد استيقظ .. فجرى نحوه .. وأقبل عليه يشبعه لثماً .. واخذ يعاتبه على عدم السماح له بالمجيء لرؤيته في مرضه .. فخجل الأب من ابنه وطلب منه أن يحضر أخاه في المرة القادمة .

وتكررت زيارات الولدين لأبيهما ..

وكثيراً ما التقى عادل بزوجة ابيه بالحديقة فجلسا معاً يتحدثان في شؤون الحياة .. وطال مرض الأب وكثر تردد عادل على منزل والده وكثر بالتالي جلوسه مع « نهاية » .. مرة في الحديقة ، وفي حجرة الصالون مرات .. حتى شعرت « نهاية » أنها تنتظر ساعة قدوم عادل على غير إرادة منها ، وانها تسر لجلوسه معها وتعجب من حديثه ومن تأنقه في ملبسه .. واعترفت لنفسها بأنها قد احبت عادل .. ولكن من هو عادل

هذا ؟ إنه ابن زوجها .. ولكنها رغم ذلك انساقت وراء احلام خيالها ، فأخذت تتأنق في ملبسهـــا وتحرص دائماً على الظهور أمامه في أكمل زينتها .

ولم تطق صبراً ، فخرجت إلى الحديقـة ، وجلست تحت الشجرة ، وانخرطت في البكاء حتى شعرت بمن يضع يده على رأسها فرفعت وجهها نحوه فرأت « عادل » يربت على كتفها وهو يقول لها :

– ماذا حدث ؟

– لا شيء ..

– ولماذا البكاء ؟

– لراحة نفسي المتعبة ..

– منطق عجيب ..

– منطق الحياة أعجب ..

- كفى فلسفة يا نهاية ولنقم الى زوجك ..

– بل لشيخي ..

– نعم .. هكذا أراد ابوك ..

– كلاهما شريك الآخر في جنايته ..

واغرورقت عيناها بالدموع وقالت :

– لم اعد املك من أمر نفسي شيئاً فحياتي سلسلة أليمة من الشقاء .. ومستقبلي مظلم بأمسي وكأني ريشة معلقة في مهب

الريح .. أو كرة في ارجل اطفال يتقاذفونهـا .. انني بائسة يا عادل .. بل أبأس انسانة في الوجود .

وقال لها عادل بصوت حزين متهدج :

ـ نحن جميعاً في حياتنـــا مسيّرون .. ولا خيرة لنا فيما يصيبنا .. ويجب علينا ان نؤمن بالقضـــاء والقدر .. خيره وشره .. حلوه ومرّه .. وان نرضى بالواقع ولو كان مراً أليمـاً .

فنظرت إليه والدموع تملأ مآقيها وقالت :

ـ تصور يا عادل انك ظمآن .. والمـــاء ينساب أمامك زلالاً .. تصور وجودك بالصحراء ساعة الظهيرة منفرداً وقد أوت الوحوش الى جحورها واوكارها .. ولماذا التصور ؟ بل هذه هي حياتي .. هذا هو وجودي .. أنا .. لحن ضائع .. أنا نغمة تافهة .. أنا خرافـة في ذهن الزمن اطلقها لسانـه .. أنا حية ميتة .. انا مسكينة معذبة .. أنا ..

وأطالت النظر إليه وكأنهـــا تريد أن تقرأ افكاره .. ويدرك ما انطوت عليه حنايا صدرها ، وكان عادل يدرك كل معنى تود ان تعبر عنه كأنها كتاب مفتوح يقرأ منه مـا فيه ، وعز عليه ما هي فيه من بؤس ، وما تعانيه من شقاء ، فخفق قلبه رحمة بها ، وشفقة عليها .. فقال لها :

ـ بربك يا نهاية لا تزيديني هماً على هم ولا ألماً على ألم ..

فلست الشقية وحدك ..

فنظرت اليه وهتفت به :

ـ عادل ..

فرد عليها مرتبكاً .

ـ نهاية ..

وقاما الى المنزل ليجدا العجوز قد انتابته علته .. وحوله والد نهاية وامها .. فأسرع عادل يستدعي الطبيب الذي حضر على عجل وعمل اللازم .. وقبل انصرافه عادت للمريض نوبة المرض .. فأصبح لزاماً على عادل ألا يترك منزل والده وهو على هـــذه الحـــال ..

واستمر على ذلك عدة أيام .. وأفردت لعـــادل خلالها حجرة لنومه .. وكانت نهاية تشرف على ترتيبها بنفسها بدافع خفي لا تقوى على احتماله .. وكثيراً ما قضيا الليل سوياً بجانب المريض ، فكانا إذا تعبا من تلك الجلسة .. خرجا إلى شرفـة المنزل .. يبددان ما ران على نفسيهما من ملل وسآمــــة .. ويتجاذبان اطراف الحديث ..

وكثيراً ما التقت ايديهما .. لتعبر عما يشعران به من ظمأ .. وشوق .. ولهفة ..

وفي ليلة أرّق السهاد جفون عادل فخرج يرتاد الحديقة .. وقد غاب القمر .. وارخى الليل استاره وحجبه .. وقادتـه

قدماه الى الشجرة التي كثيراً ما استظل بظلها.. ومعه «نهاية».
ومن العجيب انه رآها جالسة تحتها وقد افترشت الأرض ..
فحياها مستغرباً وجودها في هذا المكان وفي هذا الوقت من
الليل .. واستجلاها الخبر ، فقالت وهي تنظر إليه في حنان
وحب ظاهر:

– لقد أرقت الليل .. وطال سهادي .. فخرجت أسرى
عن نفسي ..

ودعته للجلوس بجانبها فأجابها ، وظلا يتطارحان الغرام..
واقتطفا الثمرة المحرمة .. فقاما من مكانهما ذاك الذي شهد
اثم ما حدث وهول ما وقع مع انبلاج فجر جديد .. لأحداث
جديدة ..

ومرت الأيام .. وما سنحت لهما فرصة الا واغتناها ..
حتى أذنت ثمرة جريمتهما بالاعلان عن نفسها ..

وهال« نهاية » الامر، واستيقظ ضميرها بعد طول سبات..
وأخذت تحاسب نفسها على ما حدث منها.. وما انجرفت اليه..
فوقعت صريعة التفكير .. وفريسة المرض ..

وحاول والدها استحضار طبيب لفحصها ولكنها رفضت
بإصرار خشية افتضاح أمرها .. ولكن والدها خرج من
البيت مصراً على استحضاره .. وفحصها الطبيب وابتسم ..
وقال :

— مبروك يا سيدتي سوف ترزقين بمولود ..

وخرج من حجرتها ليعلن الخبر .. وما ان أولاها ظهره حتى تناولت مادة سامة قضت عليها .. وعلى آمال والديها .. وهكذا اسدل الستار على تلك المأساة الدامية .



معذّبة

تزوجت « جهاد » من فتى أحلامهـا « ايهاب.» بعد قصة حب عنيف بدأت منذ ان رأته لأول مرة على جبل دار الشفاء بالطائف .

لقد خرجت مرة هي وأسرتها بناء على رغبة أبيهـا لرؤية الجبل والتمتع بسحر جوه وخصوصاً ساعة الأصيل .

وما ان وصلت السيارة أمام الجبل حتى هالهـــا ارتفاعه الشاهق ووعورة الطريق .

وسألت والدها في دهشة :

ــ هل يمكن للسيارة أن تصعد بنا الجبل ؟

ــ نعم .

ــ ولكنني خائفة فلا طريق ممهد ..

ــ لا تخافي فليست هذه أول مرة أصعـد اليه بالسيارة .. فكثيراً ما جئت وأصدقائي واستمتعنا بسحر جوه الخلاب .

وسارت العربة آخذة طريقها الى أعلى الجبـل ، وانبعثت نسمات ندية عبر النافذة وأخذت تداعب خصلات شعر « جهاد » المسترسل على جبينها .

وألقت « جهاد » نظرة من خلال النافذة فهالها مـا وصلت اليه العربة من الارتفاع ، وشهقت في خوف ، وقالت لوالدها :

— يا له من جبل مرتفع .. ان الصعود اليه مغامرة ..

فضحك والدها وقال لها :

— يا لك من ثرثارة خائفة من لا شيء . انظري الى اخوتك لكي تتعلمي الشجاعة منهم .. هيا بنا نتناول غداءنا بجوار العربة .

وانتحى بالعربة جانباً بعيداً عن الانظار وقال :

— أعدّي يا أم سعد لنا الطعام ولتساعدك « جهاد » وسوف نمشي قليلاً أنا وسعد واحمد ...

وبعد الاب وولداه عن العربة ، وانهمكت الأم و « جهاد » في إعداد الطعام . وفي اثناء ذلك لمحت « جهـاد » شاباً يختلس اليها النظرات ، فاحمرت وجنتاها وارخت النقاب على وجههـا إلا ان عينيها أخذتا تتطلعان اليه ، فإذا هو شابٌ وسيم الطلعة أبيض الوجه أخضر العينين عريض المنكبين وإن كان قصيراً . فطالت وقفته حتى عاد أبوها .

وتكرر صعودهم إلى الجبل كل يوم جمعة ، وكانت كأنها على موعد مع ذلك الشاب الذي كان ينتظر حتى يهبط والدها من

العربة ويسير مع ولديه فيظهر هو أمامهـــا عن كثب ويرمقها بنظراته الحارة الملتهبة وهي تبادله نفس النظرات .

وعاشت فترة من الزمن تتمنى لقـــاءه ولكن عن قرب حتى جاء ذلك اليوم الذي أخبرتها والدتها فيه بأن تعد القهوة لأن لدى والدها ضيوفاً جاؤوا يطلبون يدها من ابيها .

وأسرعت جهاد إلى ثقب البـــاب تتطلع الى العريس . وأسرعت دقات قلبهـــا بعنف وارتعش جسدها الصغير أمام المفاجأة السارة . ولم تصدق عينيها اولاً فأعادت النظر مرات ومرات حتى تأكدت بأنه هو فتى الاحلام المنتظر الذي طالما شغل فكرها وأرق نومها بنظراته الملتهبة على سفح الجبل .

وحدد موعد القران ولم تسع الدنيا فرحتها ولم لا ؟ وقد نالت امنيتها وتم زفافها إلى فتاها الحبيب .

ومرت الأيام وشعرت بأنها رزئت في زواجها . فلقد كان عريسها كثير التردد على الاطباء ، كثير التعاطي للأدوية ، نادر القيام بواجباته الزوجية .

كان زوجها تاجراً دائم السفر يقضي الأشهر في كل سفرة .

وترامى إلى سمعها بأن لزوجها علاقات ببعض السيدات ، فجن جنونها وتملكتها الغيرة وثارت لكرامتها وكبريائهـــا وانتظرت عودته . وجـاء متأخراً كعادته فوجدها جالسة بانتظاره فقال في تعجب :

ـ لِمَ لم تذهبي إلى فراشك للآن ؟

فقالت له في شحوب وألم :

ـ اين كنت ؟

ـ منذ متى تسألين عن مكان وجودي ؟

ـ إنني زوجتك ومن حقي أن اعرف اين كنت ؟

فقال وقد بدا عليه الارتباك :

ـ كنت مع صديق في سهرة ..

فقالت :

ـ كفى .. لقد علمت كل ما تفعله ..

ـ وماذا أفعل ؟

ـ ألا تدري مـــا تفعل ؟ أتظن أنني من البلاهـــة بحيث لا اعرف مغامراتك ، ومع من ؟

ـ ليس هذا ذنبي .. ولكنك السبب ..

ـ كفاك افتراء عليّ .. ألا يكفيك صبري على نقصك طوال هذه المدة ؟ إن ما تفعله خارج منزلك يصلني اولاً بأول حتى فشلك في امتحان وجولتك مع غيري .. صاحبة الشعر الذهبي وجنيهاتك الحمر هل تذكر ؟ .. وليلتها ..

قصعق الزوج وتهاوى على المقعد وقد تفصّد العرق من جبينه رغم برودة الجو . فقال لها :

ـ أتتجسسين عليّ ؟

فضحكت ملء شدقيها وقالت :

ـ لا يا زوجي العزيز خذ هذه ازرار قميصك التي كنت قد نسيتها عند ذات الشعر الذهبي .. احضرتها قريبة لك ..

وفغر فـــاه واحتبس الكلام في فمه فلم يستطع الكلام واسترسلت الزوجه في حديثها قائلة :

ـ لقد أحببتك قبـــل زواجي بك وزاد حبي لك وعطفي عليك بعد الزواج وبعد معرفتي بعلتك، وأخفيت عليك معرفتي بما بك ، وأسأت إليّ بأقاويلك المفتراة .. كنت دائماً تصفني بالبرود وتتهمني بالجهل .. فكنت أقابل ذلك كله بالصفح حتى لا تنهار حياتنا الزوجية. فماذا كانت مكافأتك لي؟ فمحاولتك إظهار رجولتك للمجتمع وإكمال مـــا عندك من نقص بتحطيم كبريائي .. لا .. لا يا زوجي العزيز .. إنني امرأة فيحاجة إلى عطف زوجي .. ألم تفكر يوماً بأن موقفك هذا مني ربمـــا يدفعني الى خيانتك انتقاماً منك ؟

فخرج من الغرفة مسرعاً وهو يقول :

ـ كفى . كفى ..

وذهب إلى غرفة نومه وانكفأ على السرير باكياً .

ولحقت به جهـــاد وربتت على كتفه في شفقة ، فنظر اليها قائلـــلاً :

ـــ جهاد .. الآن عرفت الحقيقة ..

هل تريدين الطلاق ؟

فنظرت اليه جهاد وقد ابتلت وجنتاهـا من كثرة الدموع وقالت له :

ـــ لا يا ايهـــاب .. إنني أحبـــك .. واحبك لشخصك وروحك وكل ما يهمني هو أن نعيش زوجين سعيدين صديقين وتقلع عن سلوك الشين .

فهب واقفاً وركع أمامها واخذ يديها يقبلهما وهو يهتف قائلاً :

ـــ سامحيني يا جهاد .. لقد عذبتك لأشبع غروري . لقد أسأت اليك لأستكمل ما بي من نقص .. لقد كنتِ كريمة معي رغم بخلي، وكنت وفية رغم غدري ، وانسانة رغم وحشيتي. اقبليني اليوم صديقاً وفياً وحبيباً مخلصاً .



طفولة

لليل نداء.. لا يسمعه إلا أولئك الذين يسهرون مع آلامهم.. ونجومه الساهرة التي ترقب البشر من وراء العالم المجهول ..

لليل نداء .. ولكن لا يسمعه إلا المعذبون ابناء الدموع والآهات والجراح ..

والليل أصدقاء . واصدقاؤه اولئك المعذبون البـــائسون المحرومون أمثال « دنيا » .. تلك التي انطوت على نفسها تذرف الدمع سخيناً .. وتشكو لليل آهاتها وآلامها ... تبكي الماضي الجميل الذي لن يعود .

أخذت دنيا تستعرض قصتها .. وتستعيد الماضي الحبيب .. الماضي الذي منحها الهناء .. وارتشفت خلاله كؤوس السعادة .. ماضي أيام عمرها .. ماضي طفولتها .

لقد كان كل شيء في طفولتها جميلاً باسماً . كانت السعادة تطوف بها من كل جانب .. لقد ترعرعت في بيت عريق وبين اكناف أب رؤوف وأم حنون .. واهل محبين .. وكان لها قريب يدعى « طارق » ، زميل طفولتها ، تربيا معاً في محيط واحد فانغرس الحب العذري في قلبيهما .. وصارا يبنيان أساساً من المحبة الطاهرة البريئة لمستقبل شبابيهما ، وتعاهدا على الزواج تعهداً لا يفصم عراه الا الموت .

واشتدت سواعد الحب بينهما على مرور الايام ، وكانا كلما التقيا بعيداً عن الانظار يسيران جنباً إلى جنب وقد تعانقت ايديهما وترك لخيالهما العنان ، يطير بهما حيث يطير ، حتى إذا تعبا جلسا على الرمال ، مكانهما المفضل ، ثم يسترسل بهما الحديث العذب البريء وقد اختلطت رقة الطبيعة برقة حديثهما .. وهمسات النسيم الخافتة بضحكاتهما الساذجة .. فكانا ينسيان نفسيهما والعالم الذي حولهما ... وعاشا لحظات في فردوس جميل ، كل ما فيه ينبض بالحياة والنعيم .

ولم يكن لحبهما ميلاد ... لقد شعر كل منهما بحب الآخر منذ ان عرف نفسه ، وكأنما كان حبهما وليد ماضٍ سحيق ... وكأنه حب منذ الخليقة ..

ومرت الاعوام سريعة .. وصارا في ريعان الشباب . وكبر الأمل الحلو لذي يشراق على قلبيهما .

وفي إحدى جلساتهما أخذ « طارق » يتطلع بإعجاب الى « دنيا » وقال والدنيا لا تكاد تسعه من الفرح :

لقد نجحت يا دنيا ... وحصلت على التوجيهية ..

ورأى « طارق » في عينيها ابتسامة جعلته يحس ان الكون كله يبتسم له .. وقالت « دنيا » في فرحة :

مبروك يا طارق ... لقد سررت بنجاحك .. والآن أصبحنا قادرين على أن نقرر ... ونرسم خطوط مستقبلنا ... كم أنا سعيدة ! .

فقال لها وهو لا يشبع من تجوال عينيه في تقاطيع وجهها الجميل :

– نعم يا حبيبتي ... لم يعد هناك ما يحول دون زواجنا ... سوف أفاتح أبي في ذلك .. قبل سفري الى أمريكا لإنهاء دراستي ..

فقالت :

– لن تسافر وحدك .. سوف أرافقك .. وسأدفعك إلى النجاح دفعاً .

فضمها اليه في وجد وقال :

– طبعاً سآخذك معي . اني لا استطيع أن أعيش بدونك .. إن لي في الحياة آمالاً عظيمة .. ولكن أعظم آمالي أن تكوني بجانبي وأن أعيش بالقرب منك .. فاذا قدر لي ان أموت ..

فاني اموت يومئذ سعيداً بين ذراعيك ..

– أنا لك يا حبيبي لن يفرقنا شيء .. أنت جزء من عــالمي الجميل الرائع الثابت على الزمن ..

فقال :

– كم أحب الدنيا .. لا لأنها جميلة ، فقد ملأ جمالك فضـــاء قلبي .. فلم يبق فيه متسع لشيء سواك .. وسأبتسم للحياة ، لا لأنها حلوة فقد اكتفيت بحلاوة روحك عن كل ما في الحياة . أنت أجمل ما في الوجود ، أنت وجودي .. حبي لك ليس كما يحب إنسان إنساناً ، وليس كما يفهم الناس معنى الحب .. حبي أقوى من الحب ذاته .. إنه حب البقاء .. حب الأبد .. حب الروح .

باح « طارق » لأبيه بحبه العميق الذي يكنه لدنيا .. باح له بسره العظيم .. باح له عن عهده .. ووعده .. واستمع الأب بصمت رهيب .. وألم شديد . وكانت صدمة العمر لطــارق عندما قال له أبوه : « لا يمكن أن تتزوج من دنيا لأنها أختك في الرضاع » .

وصعق للمفاجأة وانهارت قواه وقال في ألم :

– لا .. لا أصدق .. لا أصدق .. دنيا أختي ... لا أصدق .

وقاطعه أبوه :

– يا أبني .. هذه هي الحقيقة .. وهي بحكم الدين والقانون ..

والشرع .. لا تجوز لك .

واشتعلت نار المرارة والآلام في نفس طارق ، وسار ذليلاً حزين النفس يخبر حبيبته بحكم القدر .

والتقيا .. وفي صدره دقــات .. وفي جسمه رعشات .. ورآها .. رآها في اجمل صورتها .. رآها والماضي كله ينطق في عينيها في غمازات وجهها على محياها .. على ثغرها .. وضمها إلى صدره .. ولم تقاوم ضمه الشديد .. وصارحها بحكم القدر .. وبكت طويلاً .. بكت عمرها الضـــائع .. بكت الماضي .. ولكن ما عساهما يفعلان أمام إرادة الله وامام حكم الله ..

سافر « طارق » الى امريكا .. وفي قلبه الصغـــير الذي يحوي الحب الكبير .. دمعات .. وفي عينيه الصغـيرتين اللتين شاهدتا أروع قصة حب .. دمعات .. وتحطمت في نفسه آمال المستقبل ..

سافر في درب الحياة لا يبالي ... لعله ينسى.. ولكن كيف ينسى ؟..

فالانسان ينسى إذا كان موضوع النسيان سطحياً عابراً ، ولكن كيف ينسى الانسان الصورة التي رسمت على قلبـه ، ثم اصبحت ميتة .. وكيف ينسى فترات اسعـد أيام عمره .. بل هي العمر كله .

لقد أخذ طارق يطلب لنفسه السلوى من حبه .. ويسلك

كل السبل لنسيانه ، ولكن دون جدوى .. كيف ينسى حبه وقد ملك عليه عقله وقلبه ..

أخذ يقنع نفسه بأنه لا يحب من دنيا إلا روحها .. وحب الروح هو الباقي .. ولديه ذكرياته الجميلة .. ذكريات طفولته وصباه .. ذكريات بريئة ذكيه ..

أمـــا « دنيا » فقد أظلمت دنياها في عينيهـــا من هول الصدمة ... من قسوة القدر الذي لا يرحم .. تسهر الليل تبثه شكواها .. وتناجي انجمه تحكي لها ذكرياتها العذبة الجميلة ..

وامسى هذا الحب من الذكريات لا ينتهي .



عاشت للذكرى

جلست في الشرفة وقد بدت على وجهها الشاحب علامات الحزن والقلق ، وكان هواء الليل بارداً ، فشعرت بقشعريرة تسري في كيانها . فأخذت ترمق الفراغ والظلمة بعين ساهدة وذهن غارب شارد . وهبطت من مقلتيها قطرات من الدمع ، وألهبها اليأس ، وانسابت دموعها بكثرة . ومضت عليها فترة ثقيلة مظلمة . فنهضت على اثرها ببطء وفتحت درجاً صغيراً واخرجت منه كتاباً أزرق اللون واحتضنته في حنان وعادت الى مكانها في الشرفة .

لقد بدأت في الكتابة تلك الليلة التي شعرت ان لا بد لها من أن تكتب كل ما عندها. فنفسها غارقة في أمواج من الانفعالات. انها تريد أن تعترف بكل ما يخالجها ، وتسجل كل شيء عن حياتها التي تمنت ان تقضيها في سعادة . فليس لها أحد تحكي له غير قلمها تمسكه وتسطر به . ان هذه الصفحات ليست اكثر

من صيحات تخرج من ذلك القلب الذي كتب عليه العذاب .

وأخذت الكتاب بين يديها ، وبدأت تقلب صفحاته وتقرأ ما خطه قلبها ، واخذ دمعها الصامت يتسايل على خديها :

أذكر ذلك اليوم حينما كنت في بيت أبي وردة جميلة ، كنت ابتسم للدنيا وتبتسم معي الدنيا ، واشعر بالسعادة وأغفل عن وعيي في نشوة احلامي ولا أبالي بشيء . فعندما كان يولد يوم جديد كانت تولد في نفسي سعادة جديدة .. وأحلام جديدة . وفجأة .. ظهرت انت في حياتي .. حينما اسرعت إليّ والدتي تخبرني بأن قريباً لأبي وصل من اوروبا بعد تخرجه وسيحضر لزيارتنا .

وبعد هـذه الزيارة أحسست بأن في البيت حركة ليست طبيعية . لقد لاحظت على والدتي ووالدي طباعاً جديدة . فهم دائماً ينظرون إليّ ويتهامسون ولا يكلون ولا يتعبون من مراقبتي وملاحظتي .

وذات يوم دخلت علي والدتي وهي تبتسم وزفت إليّ ذلك الخبر بانك خطبتني . وبعد تفكير عميق وافق والدي لأنه وجد أنك كفء لي وأخذت والدتي تسرد عليّ الادلة .. والحكم .. والمواعظ .. وأنا أصغي الى نصائحها في هدوئي المعتاد . واكتفيت بأن قلت لها .. اني موافقة .

لا استطيع ان أحدد لك مدى الخوف الذي أصابني فيذلك

الوقت . لقد شعرت بالدم يصعد في وجهي وخالجني شيء من الرهبة . وأخذت أحدث نفسي ، بأنني ساصبح عروساً ثم أكون زوجة وأعيش مع رجل غريب ، فكيف يمكن ذلك ؟

ومضت علينا فترة الخطوبة من أسعد الأيام . لقد انتزعتني من دنيا الناس وطرت بي الى آفاق بعيدة حيث شعرنا بالسعادة والاطمئنان . واصبح كل الذي بيني وبينك حباً يجري في عروقنا ، ويكبر معه في الحياة أملنا .

وجدت فيك اشياء كثيرة جعلتني أتمسك بك واقرب نفسي من نفسك وحاولت بجميع الطرق أن اهيء نفسي لكي اقدم لك حياة هادئة ترتاح لها . وشعرت بأن وجودي بجانبك لم يكن تافهاً .. وبأن روحي اصبحت لها قيمتها لأنك تثق بي . وصراحتك جعلت حياتي ممتلئة بالمعاني ، وأصبحت أتمسك بالايام الجميلة التي تمر بنا . وأنا على ثقة بأن المستقبل سيكون أسعد وأجمل .

تزوجنا .. وانتقلنا إلى عشنا الجميل . وقضينا أجمل الايام.. ومضت اشهر تتلوها اشهر ، وبدأت تظهر على سماء حياتنا الزوجية سحب الخلافات وتتجمع ، وحملتني الى الواقع بما لم أكن انتظره وكأن الماضي كان حُلماً .

اسرعت تفاجئني بطباع جديدة جافة واصبح السكوت بيننا عادة . اصبحت حينما أنظر الى عينيك اللتين كانتا تشعان

بمعاني الحب ، اجدهما فارغتين جامدتين ، ولم يعد الامان الذي انشده ينساب على نظراتك . ولكنني حاولت بجميع الطرق ان اتحملك وان أجد الأعذار لبرودك وان اقنع نفسي بأن انصرافك عني ليس سوى نتيجة عارضة للتعب من الأعمال المتكاثرة عليك . وصرت ابذل كل جهدي لأهيء لك الجو الذي ينسيك متاعبك .

ومرت علينا الأيام وتسير حياتك من سيء الى أسوأ وكأنك تصرّ على إتعاسي .. ولكنني اصر على اسعادك .. وانتحل الاعذار لتصرفاتك واقابل اعراضك عني بإقبالي عليك .. وتجهمك بابتساماتي المشرقة .. والله وحده يعلم ان قلبي كان يقطر ألماً وكبدي يحترق .

حتى جاء ذلك اليوم الذي كنت جالساً فيه أمامي تقرأ احد الكتب فسألتك .

– اخبرني ماذا بك ..؟ لقد تغيرت . لماذا لا تحدثني كعادتك في الماضي ؟

وأجبتني بلهجة جديدة :

– انا لم أتغير . . ولكن الظروف التي تحيط بنا قد تغيرت . . ونحن نعيش الآن في الواقع .

أحسست بدمي يتجمد في عروقي ، إذن لم تلك الفترة الجميلة الماضية التي قضيناها معاً سوى لهو بالنسبة لك .. والوعود التي

اضاءت واشعلت قلبي ، كانت وعوداً كاذبة !

نعم ، لقد كانت وعوداً مزيفة ، مجرد كلمات .

وأخذت اتأملك وأنت جامد في مكانك لا تحوّل عينيك عن الكتاب الذي تقرأه . وأخذت أنا اتطلع اليك وأعاني ذلك الصمت الذي يغمرنا ويثقل كاهلي .. الى متى ستظــــل على هذه الحال ؟

وأخذت تسافر كثيراً من أجل اعمــالك .. وكم من مرة طلبت منك ان أسافر معك ، فكنت ترفض بسبب انــك لن تكون متفرغاً لي من كثرة عملك .

ومضت سنة على زواجنا ولم يكتب الله لنا ان نرزق بطفل يؤانس وحدتي .. وكنت اجري الفحوص الطبية ، وكانت تدل في كل مرة اني بخــــير ولا يمكن ان يكون السبب مني لعدم انجابنا الاطفال . فحاولت مراراً ان اقنعك بأن تذهب انت بدورك الى الطبيب ليفحصك ولكنك كنت تثــور في وجهي وتخرج من البيت .

واذكر تلك الليلة التي دخلت عليّ فيها وعلى وجهك علامات الحزن والأسى . فذعرت لمظهرك واقتربت منك وعينـــاي تفيضان حناناً ، وسألتك عن سبب غضبك ، ولكنك نظرت لي بحزن وأخذت الدموع تترقرق من عينيك . وشعرت برجفــة تهز كياني حينما رأيت الدموع تنحدر على خديك .. واخذت

دموعي تنهمر بشدة .. ومضت علينا لحظـات ونحن على هذه الحالة .. وبعد ان هدأت قلت لي :

– طوال هذه المدة يا عزيزتي كان يجرى لي علاج من أجل ان نرزق بطفل ، وكان عندي أمل كبير . ولكن الدكتور اليوم اخبرني بأني ...

وتلاشت الكلمات بين شفتيك ، وأخذت تنظر إليّ وأنت متأكد بأني فهمت ما تريد أن تقوله . وحاولت بعد ذلك ان تتكلم ولكني وضعت يدي على شفتيك وانا اشعر بالدنيا تظلم في عيني . ولم تهمني علتك وانما همني حزنك ، وتفتحت عيناي على شيء لم اكن اعرفه طوال هذه المدة ، ولم أكن اعرف انه سبب عذابك . واخذت أواسيك واقنعـك بأن الأولاد ليسو كل شيء ما دمنا نحيا معاً وان هذا لن يغير اي شيء من حبي لك فأنا اعيش من اجلك . وامضيت الليل كله وأنا احـاول اقناعك بما كتب الله علينا وكنت صادقة في كل كلمة لفظتها والله على ما أقول شهيد .

مرت الايام وأنا اغمرك بحبي وحنـــاني ولكنك اصبحت شرس الاخلاق عصبي المزاج لا تجلس في البيت الا لتثير المشاكل والمتاعب وانا اتحملك واقضي الساعات ثقيلة بطيئة وحدي . واذهلني قولك لي اني اكثر في العطف عليـــك وارثي لحالك ، وكانت الطعنة النجلاء حـــين قلت لي إنك لم تغصبني على العيش معك .

واخذت هـــذه الكلمات تدوي في اذني في كل مرة أراك بجانبي ، وكم من مرة حاولت ان اقنعـك بحبي لك . ولكنك كنت تنفر مني . وبعد ان طال عذابي صممت على ان اترك البيت وان اختفي من حياتك . وشعرت عن اقتناع بأن علاج الموقف ان نفترق . وكنت اشعر بعذاب محرق لفراقك ولكن أحسست انه الحل الوحيد لكي ترجع الى طبيعتك » .

انتهت من قراءة الكتاب واحست بالدمع يترقرق في مآقيها، وحاولت عبثاً ان توقف انهماره . وأخذت تضغط بأسنانها على شفتيها حتى كادت تدميها . ونهضت الى غرفة النوم ورفعت الكتاب بجانب السرير واحضرت الحقيبـــة وبدأت في وضع ملابسها وهي تحاول ان تتماسك ، وتتجلد ، وهي مجروحـــة النفس مرهقة الذهن .

قضت اسبوعاً كاملاً في بيت والدها وهي مشدوهـــة تائهة تترقب سؤاله عنها . فكلما يدق جرس التلفون تشعر بقلبها يدق وتظن انه الهاتف يستدعيها للرجوع . وتعجبت لقسوته التي بلغت حدها . فكيف يتجاهلها وهي ما زالت زوجته ؟ ولماذا لم يسأل عنها والدها إذا أبت عليه كبرياؤه ان يطلبها ؟ كأن يجب عليها ان تصبر وتتحمل ولا تتركه ، فهو انسان مريض يعاني عقدة نفسية . اذن يجب ان تعود اليه فهي لا تقوى على فراقه .. ولم تنسه لحظة في هذه المدة . ونهضت مسرعة الى

ملابسها تضعها في الحقيبة . انها عائدة اليه لتبقى بجانبه وتدفع عنه ما أحزنه .

وفي تلك اللحظة فوجئت بوالدتها تفتح عليها باب الغرفـة فأخبرتها بأنها عائدة الى بيتها . ولم تستطع ان تجيبهـا بأكثر من قولها : « لا يا بنيتي لا تذهبي » ..

وبكت بحرقة وقالت : « انا السبب ، لقد تركته وكان في اعتقادي ان هذا هو الحل الوحيد لحياتنـــا ولكني الآن شعرت بأني لا استطيع ان أتحمل فراقه فهو محتاج الى عطفي.. وحبي » .

وشحب وجه امهـــا وقالت في حزن : « انسيه يا حبيبتي لا تسبي عذابا لنفسك » .

ففزعت لكلمات والدتها . ماذا غيرها وهي التي ألقت عليها اللوم والعتاب يوم حضورها الى البيت ، وهي التي ارادت أن ترجعها الى بيتها في ذلك الوقت . لقد كانت ترى والدتهـــا ووالدها طوال هذه المدة حزينين ينظران إليهـــا في إشفاق ويغمرانها بعطفهما وحنانهما . وقالت لامها في تعجب : « لماذا تريدين مني ان انساه ، لماذا ؟ »

فقالت الأم في حزن دفين : « لقد اخفيت عنك خبراً محزناً طوال هذه المدة . فحين حضورك إلينـــا في تلك الليلة ذهب والدك في الصباح كي يستفسر عما حدث من خلاف بينك وبين

زوجك . فأخبره الحارس بأن زوجك رجع بعد خروجك فوراً وصعد الى البيت . وبعد نصف ساعة رآه الحـارس وهو ينزل الدرج في سرعة ، فزلت قدمه وانقلب من اعلى الدرج الى اسفله، فنقلوه إلى المستشفى ، فأسرع اليه والدك وكانت حالته في ذلك الوقت خطيرة جداً . فلما رأى والدك قدم له كتاباً ازرق اللون وقال له : « لقد أراحني الله ... واخبر زوجتي العزيزة بأن تسامحني ... »

وفارق الحياة .

وكان لهذا الخبر وقع شديد عليها وكأن مطرقة هوت على رأسها ، وذهلت وأخذت تصيح في فزع : « أيمكن ان يكون قد ذهب الى الأبد ... لمـــاذا لم تخبراني من قبل ... لماذا حرمتماني من أن اراه؟ » واخذت تردد الكلمات بطريقة جنونية وتبكي بحرقة جارحة .

وتمالكت نفسها بعد مرور ايام ثقيلـة انقضت ، وانتقلت الى بيتها . وكانت اشبه بالمتحركة في سحب قاتمة سوداء .

ودخلت البيت في صمت.. لا بكاء ولا دموع .. ولا صوت.. ولا حركة . هـــذا البيت الذي شاهد ايامها السعيدة وايامهـا الحزينة . اخذت تدور فيه كأنها في دوّامة وأمام عينيها اشباح الماضي الذي لن يعود .



حرمان أم

اتيت المرآة فاذا بي امـــام وجه يعيـــد لنفسي ذكريات وذكريات ، ويحملني بأرجوحـــة الربيع ، فيهزني مع قوافل الحب ، لأعيشهما بعـــالم علوي ، كما عشتهمـــا بعالم دنيوي ، وما ألبث هنيهات ، حتى تملأني بعدهـــا ثورة فكر جائحة ، لا ينقلني منها الى دنيا السكينة والاطمئنان ، غير ارتياح ضمني ، عميق . . عميق .

تلك هي غدير .. التي عرفتهـــا فتاة ، اكبرت فيهـــا العفة مع الصبا كما عرفتها سيدة بعد ذلك رأيت في نطقـــها وحركتها وعيشها خطوط تـــكامل السيدة .

ولم تشأ لنا الايام ، ان نبقى زميلتـــين في نفس الحي ، فابتعدت عنها مسافرة الى بلد ليس قريباً ، كانت ثمة رسائل ترد لي منها بين الحين والحين ، فاستشف منها ، عبق الحياة بوطني حين تنقلني بأسطرها ، من حي الى حي ، ومن بيت الى بيت ،

فأعيش كما لو كنت هناك ، أتمتع بالشمس المحرقة اللذيذة ، على رمـــال الشواطىء ، وانعم بجمال الطبيعة ، بين مرج اخضر ونبات طري ، واشاركهم الطرفة فابتسم .. ومـــا افيق من ابتســامي ، وضحكي ، وقهقهـــاتي احيانا ، إلا بقبـلة على كلا الخدين ، عودتني عليها في ختام الرسالة .

وطالت الايام .. وكذلك البعد .. وإذا بغدير تكتب إلي يوماً تقول :

« لقـــد بكيت عندمـــا ولدت ، وكل ســاعــة تمر تفسر لي سبب ذلك » .

فأمعنت النظر وقلبت الصحيفة البيضـــاء ، فلم أر بهـــا حرفـــاً آخر ... فدوّى في صدري فراغ لم استطع خنقه ..

أبرقت لها ، فما أجـــابت ، واجبت استفسر باسهاب فلم ترد .. وانتظرت بأمل دون نتيجة .. فانتابتني رغبة جامحة في المـــآب ، لكن .. كان لا بـــد من المكوث بعضـــاً من الوقت لأعـــود ، فكـــان ذلك . . . وكانت العودة ..

ادرت طرفي ، فاذا البـــلد بـــلدي .. ماسة بعنـــق النجوم ، هكذا أتصور .. واذا المجتمع مجتمعي ، .. موكب نور برحاب السماء ، ذلك شعوري ...

فهلل كياني طرباً .. وتهت فخراً .. انا بوطني ... ؟ !

اجل أنا بوطني ..

على أرضي التي حبتني وجـــادت عليّ ، حتى اكتملت فنشأت ، وحب لها جـــارف بقلبي ، فقلت ، وقدسية الوطن سأرعاها كما رعتني ، وانعم عليها كما انعمت ...

في اسرتي الصغيرة وبين اسرتي الكبيرة التي وهبتني كثيراً ممـــا ملكت .. فـــا ليت على نفسي ان اهبهـــا مما املك الكثير ..

ولكن .. ! ! أي طريق اتبع لأنال الأرب .. ؟ ؟

واي مسلك اقرب ، بل اي درب هو اجدى .. ؟؟

لشد ما تملكتني الحيرة ، ولطالما خدعتني النظريات .. فالارض التي حبتنى ، خاوية طرفهـــا إلا القليل .. والاسرة الكبيرة التي وهبتني الكثير ، ذابلة مريضة اغصانها ..

ويح نفسي ما من ماسة ارى ، وما من موكب نور أبصر . خداع نظر ، ودنيـــا رؤى .. ولم اكد اصل لهذه النقطة ، حتى شبت بعالم فكري ثورة كامنة ، كأنهـــا على موعد مع الدروب الخاوية ، والفروع الذابلة ، فلابت وجابت الانحـاء ، واستقرت عنـــد صومعة المرأة والرجل ، لتطعم باكـــتمالها الجـــائع .

وتحيي بتماسكها الذاوي الاصفر ..

المرأة والرجل .. بل مجتمعي ووطني.. بل همـــا النقطة

التي اطلقت عقـــال ثورتي . . إذ لم ار فيهـــا صورة ضعف واحدة ولا اثنتين .. ولا ثمـــانية .. بل صوراً عـــدة .. تقبل بخطر جسيم ، كلمـــا اعرضنـــا عنهـــا بتهـــاون طفيف ...

مضت ايام ليست قليلة وانا مـــا زلت ابحث عن « غدير » زميلة الصبا .. وزوجة من تحبه .. وام من تفديه ...

وانه لغريب حقاً ، ألا يكون منزلها المنزل الذي امامي .. فما تغير به شيء أبداً .. حديقته لم تزل تحيط بجدرانه ..

وسوره لم يزل يضم الحديقة ، وتزحف على حوافه العليـــا اعناق اشجار الكينا .. حتى الشرفة الوسطى .. هي ، هي ، بقنديلها الاخضر ، الذي طالما سهرنا بنوره ، بينما كانت قلوب عاشقة واخرى شاردة ، تتمشى في الشارع المشجر العريض ، الذي تطل الشرفة عليه .

جئت ذلك المنزل مرات عديدة ، اسأل عن غدير ، وفي كل مرة ألقى الاجـــابة ذاتها .. مخطئـــة يا سيدتي ، غـــدير التي تبحثين عنهـــا ، لم نسمع بهـــا قبـــلا ... وتقولـين متزوجة ايضاً .. ؟؟ مخطئة يا سيدتي .. فما من رجل واحد بهذا البيت .

وطـــال بي البحث ، وشق الامر علي، وزاد عنائي كلمات عميقة الوقع تزحف لمسامعي بين الحين والحين ..

« لقد بكت عندما ولدت وكل ساعة تمر تفسر سبب ذلك ... »

عجباً واي عجب . اين هي . ؟ ؟ ما الذي حدث . وكيف .. ؟؟

وأتتني الاجابة أخيراً ، حين طرقت باباً مجاوراً لمنزل غدير ، استفسر عنها ، فقالت لي ربة البيت الكبيرة :

ـ ذاك هو بيتها . حيث تعرفينه . لم يحل ولم يتغير ، ولكن من يسكنه الآن ، تحول واستحال . لقد انفصلت غدير عن زوجها .. وما تبين عنه احرى بالكتم .. وكفاها حظاً من الدنيا ، ان تكون بعيدة عن رجل ظلمها .. تباً لهم أيضالونك كغيرك ، فيقولون لا نعرف غديراً ، ولم نسمع بها قبلا .. ويحهم ... تسلطت عليهم وطأة الحقد الاعمى ، فتنكروا للفضيلة . وأعمتهم المادة بمعانيها ، فاغرقتهم في ظلام .. ونظروا لأنفسهم ، فراقت لهم غريزة الانتقام ، ليردوا لذاتهم اعتباراً فقدوه ، وما جنى عليهم احد ، ولكن كانوا هم الجانين ...

يا ابنتي .. بل يا من تبحثين عن غدير .. !!

اذهبي وقفي امام بيتها ، الذي تعهدينه ، وليكن ذلك بمنتصف كل ليل .. فان لمحت عربة بيضاء ، تقف هناك ، ونظرت لمن بها ، فرأيت ربيعاً يحلله الخريف .. وتطلعت الى

السماء ، ثم ألقيت نظرة اخرى على الارض ، فوجدت نجمة ثاقبة ينزف جرحها على الخدين .. تمهلي قليلاً وانتظري حتى تتحرك الشفتان ، دون أي صوت ، وتعقد الانامل بقوة ، الى بعض ، وتنطلق من الصدر زفرة عميقة ، ويصدح بعدها نداء جريح يقول :

« ولدي عماد .. مهجتي .. »

فيقبل رجل مسن ، هو حارس البيت المخلص ، ويهمس بعينين دامعتين :

« سيدتي .. ترفقي بنفسك ، فكما نعلم وتعلمين ، لا نستطيع فعل شيء ، وقد حجبه ابوه عنك . فانتظري . ابنك بنفسه ، سوف يأتي اليك عندما يكبر » .

عند ذلك ، يا ابنتي ، اندفعي لذاك الربيع الخريف ، لتلك النجمة النازفة الجراح ، تجدين غديراً .. الصامته الدامعة ، التي تنتظر من يقول لها :

« ستعيشين .. ويكبر ابنك ، ويأتي اليك بنفسه » ..

فقولي لها ذلك ..



صِراعٌ في نفسي

ايها الربيع المقبل .. كل شيء يبدو جميلاً اليوم .. في هذا المكان المزدحم بالبشر .. في هذا الحفل الصاخب .. قادتني قدماي الى الحديقة الغناء الممتلئة بالزهور الجميلة .. والتي تفوح منها رائحة عطرة تتسرب بعمق الى نفسي .. وتبعث في داخلي راحة وحنين الى كل شيء جميل .

خلعت حذائي واخذت اسير ببطىء اتحسس تلك الحشائش الرطبة تحت قدمي .. أشعر بلذة وراحة نفسية . أني أشعر اليوم بأني طفلة صغيرة .. لا تعرف غير الابتسامات والضحكات .. فكل شيء حولي باسماً ضاحكاً .. وكأن الزمان توقف اليوم ليمنحنا جميعاً السعادة ويؤكد لنا انه ليس هناك مجالاً للدموع والآلام .

أذكر الآن ذلك الشعور الغريب الذي طرأ على نفسي عندما كنت في الحادية عشر من عمري .. وقررت والدتي أن نقضي يوماً في مكان خارج البلدة .. وقبل شروق الشمس استقلينا

العربة ومضينا الى حيث هذا المكان الساحر.. مكان جميل تغمره الزهور مبعثرة في كل مكان .. ورائحتهـا الذكية العطرة تفوح وتعلن عن موسم الربيع .. موسم الحب والخيـــال .. موسم الصفا والوفاء .. موسم الزهور والاشجار .. موسما تكتمل فيه الطبيعة بكامل حسنها وبهائها.

ليت عمري .. ما أجمل حيـاة الطفولة .. يا الهي .. لماذا نكبر .. ؟ لماذا لا نظل اطفـــال ..؟ براءة وسذاجة .. شعور صادق .. حب دائم ..

مر علينا الوقت ونحن في مرح وسرور .. خلعت حذائي.. وأخذت أجري وراء أخي الصغير بين أغصان الزهور.. أقطف بعض منها لأغرسهـــا في شعري .. وأطلق ضحكاتي في الهواء فتنتشر كتغاريد الطيور .. فجأة شعرت بألم حـــاد في احدى قدمي .. فانكفأت بين الزهور أبكي من شدة الألم .. ياالهي .. لقد اخترقت قدمي شوكة حادة .. ومضى علي الوقت وأنا أحاول أن أنتزعهـــا دون جدوى ... فعدت متكئة على قدم واحدة الى أمي والدموع تملأ عيناي.. ولن أنسى منظر والدتي حين علمت بمـــا حدث لي .. بدأ الفزع والاضطراب على جميع قسمات وجهها وصممت أن نعود في الحال الى المـنزل .. ولكني صرخت متوسلة اليها راجية اياها بأن نبقى مع افتعالي امامهـا بأن الشوكة قد خرجت من قدمي .. لكي لا أفسد تلك الرحلة

وأكون سبباً في تعـــاسة اخوتي وخاصة انهم كانوا سعداء .. يلعبون ويمرحون ..

نعم ... لقد تحملت آلام نفسي لكي أسعد الآخرين .. طبيعيــاً لم أشارك اخوتي لعبهم .. ولكني اكتفيت بالجلوس بين الزهور .. أنظر واراقب .. وأنا مبتسمة ابتسامة الألم . والكل يعتقد اني اشعر بالراحة والسعادة .. بينما كلي ألم يمزقني من الداخل ... حتى انتهت تلك الرحـــلة وعدنا ادراجنــا الى المنزل .

واليوم ... وأنا في هذا الحفل .. أتظـــاهر بالسعادة .. وأرسم ابتسامة صفراء تشع لمن حولي البهجة والسرور .. بينما في داخلي لازلت أشعر بالشوكة في قدمي .. الألم .. الألم .. الذي زاد مع الأيام والسنين .. والذي لم تمحه الأيام لأن قسوة البشر أقوى من ان تمحي أو تزيل ..

لقد خلقت منذ طفولتي لكي أبــذل وأعطي وأضحي .. حتى ولو كان على حساب سعادتي وراحتي .

يارب ... ساعدني ... هل اعامل البشر كما يستحقون .. ؟ هل ابادلهم الشر بالشر ... ؟ والاثم بالاثم .. أم ابتعـــد عن هذا العالم الظالم لأعيش في عالمي .. حيث اظل منزوية بعيدة .. أبذل وأعطي وأضحي ..

أيها الرب الرحيم .. أهدني وأرشدني الى الطريق الصحيح

. وجفف دموعي.. وهدىء من آلام نفسي .. وهبني الراحة .. ودع في قلبي مزيداً من الصبر والتسامح .

وخرجت من تأملاتي على صوت احدى الصديقات تدعوني لمشاركتهم ... فارتديت حذائي ... ورسمت تلك الأبتسامة المزيفة على وجهي ... وعـدت ادراجي الى الحفل ... لأبذل ... لأعطي ... لأضحي .



وراء الغيب

آخر مرة منذ ثمـــاني سنوات .. كانت تهبط سلم البيت في اختيال ودلال .. ووقفنا انا وصديقي أحمد متعجبين مبهورين بجمالها .. أما هي فقد كانت تنظر الينا في ثقة .. وفي عينيهـــا الواسعتين يتكون عالم غريب .. عالم بعيد ..

وقال احمد بلهجة حجازية فيها اصالة صدق : – عيونها مثل عيون الغزال – دنيا .. اسم على مسمى بارك الله في من اسماها .. والحق انها كانت جميلة .. ورشيقة .. كانت انيقة وحالمة .. تنظر الى بعيد وهي تبتسم دون سبب واضح . كانت واثقـــة بنفسهـــا معتدة بجمالها . لم يكن أحد من الشارع الذي تقطنه يجرؤ على مكالمتها .

وقد كنا منذ وصولنا من جدة لاتمام دراستنا في الجامعة ، ونحن نراقب مواعيد جارتنا الحسناء .. دنيا لكي نراهـــا ، وعندما تمر من امامنا لا نستطيع أن ننبس بكلمة واحدة ولا حتى نلقي عليها التحية – بل نقف مبهورين بفتنتها الخلابة .

وقبل نهاية العام الدراسي بقليل ترامت الينا شائعات تقول : ان جارتنـــا الحسناء قد تزوجت من طبيب جراح يكبرها في السن . فحزنا على فراقها وانقطعت اخبارها عنا .

وبعد تخرجنا من الجامعة سافرنا إلى بلادنا ليبدأ كل منا العمل الذي اسند اليه . ومـــا كاد عام يمضي حتى جاءني أحمد يخبرني بان الشركة التي يعمل بها طلبت منه السفر إلى بيروت لانهاء بعض الاعمال هناك . فودعته وتمنيت له التوفيق .

ومرت ستة شهور على غياب أحمـــد .. لم يبعث لي برسالة اطمئن عليه .. وفي احـــدى الامسيات وانا جالس مع بعض الاصدقاء في بيتي جاء الخادم يخبرني بان السيد احمد بالمكتب يود ان يلقاني بمفرده . فشعر الاصدقاء بماقاله فاستأذنوا وانصرفوا .

ودخلت الى غرفة المكتب وانا في عجب من امر احمـــد . وما ان وقع عليه بصري حتى فوجئت بالتغير الذي طرأ عليه .. لقد لمحت صديق طفولتي شاحب اللون هزيلاً . يبدو كالكهل . فاسرعت اليه احييه واستفسر عما حدث له وقلت في حيرة : ماذا بك يا احمد ؟ هـــل انت مريض ؟ فقال في حزن دفين : لقد انتهيت يا صديقي انتهيت ... وسكت — ورمقته بنظرة مستفسرة وفي قلق سألته : ماذا تعني .. ماذا حدث لك ؟.. واجاب وما زالت النظرة الحزينة تطل من عينيه : أتذكر دنيا جارتنا الحسناء — لقد التقيت بها واحببتها . وفي دهشة هتفت :

ولكنها متزوجة .. وتقلصت ملامح احمد وقال : كانت دنيا ترعى زوجها وترعى طموحه .. وتسنده وهو يصعد إلى القمة .. كانت خير زوجه لرجل عظيم تتحدث عنه الصحف والاذاعة ويقابل في كل مكان بالترحـــاب والتقدير . وانجبت له غلامين وكانت مثال الأم الحنون .. وبعد سبع سنوات من زواجهـــا اصيب زوجها بمرض القلب وكان يرفض أن يقوم على خدمتــه أحد سواها .. فأخذت تقضي الليالي ساهرة تلبي طلبـــاته .. واستمر على هذه الحال عاماً باكمله .. كانت حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم إلى ان فارق الحياة فحزنت عليه حزناً شديداً . وأراد القدر ان نلتقي بطريق الصدفـــة في بيت قريبة لي .. فخفق قلبي لها .. وتكرر اللقاء .. واصبح واضحاً من نبضات قلبينا واحاديثنـــا وتصرفاتنا ان عاطفة تنمو في صمت بيننا وتزداد توثقاً بمرور الايام . واستقبلت الحياة في بشر وأمل .. خاصة وان دنيا كانت تغدق عليّ من المشاعر نوعاً جديداً لم آلفه من قبل .

وأمام الجميع استطعنا أن نحبس عواطفنا في قوقعة الكتمان منذ البداية .. ولكنني شعرت باني لا أقوى على البعـــد عنها لحظة واحدة .. ولذلك لا بد ان نعلن حبنا للجميع ، فطلبت منها الزواج ..

وصمت أحمد واطلت من عينيه دمعـــة حائرة .. وقلت في استغراب : ماذا حدث بعد ذلك؟ هل رفضت الزواج منك؟ـ

تنهد احمد بمرارة وتدحرجت الدمعة على خديه وتهدج صوته حين قال : لا .. لكن القدر .. القدر يا صديقي أراد أن يضع حاجزاً بيننا . فقلت في حيرة : ما عجب منطقك يا احمد ما هو الحاجز ؟ – واصفر وجهه : لقد كتب زوجها في وصيته « لو حدث وتزوجت بعد موته تحرم من اولادها .. ويحق لعمهما أن يحتضنهما ويكون وصياً عليهما » . وقلت في اسى وخيبة امل : كم هو قاسي ذلك الزوج الكهل .. الا يكفي انها كرست له حياتها ثماني سنوات .. ولكن هل افهم من هذا انها رفضت ان تتزوجك ؟ – ومرت لحظات ثقيلة بطيئة وقال والمرارة تغلف كلماته : لن اسمح لنفسي أن أكون سبباً ان تحرم من فلذتي كبدها . وهتفت متعجباً : وهل وافقت هي على قرارك ؟

قال في عصبية : نعم .. ولكني شعرت بآمالي كلها تنهار واستسلمت لارادة القدر .. وما كان لي الا ان افعل ذلك أمام قسوة الظروف – وسكت برهة وارتسم على وجهه تعبير اسى وقال : لم يكن أمامنا سوى حل واحد هو ان يحاول كل منا أن يبتعد عن طريق الآخر .. وقلت وأنا أشعر ببعض الراحة : وهل نجحتما في محاولتكما ؟

– لقد حاولنا في الايام التالية في صدق واخلاص ، حاولنا أن يعود كل منا مجرد رفيق .. وعجزنا عن تحقيق ذلك وشعرنا اننا نزداد ارتباطاً وحباً فاستسلمنا لعنف عواطفنا، وعدنا نلتقي

والحب يسيطر على قلبينا دون هدف او غاية ، نلتقي لنرضي تمرد روحينا ولهفة نفسينا ولكن ماذا نفعل وهناك حائل بيننا؟ وخطرت لى فكرة عرضتها على دنيـــا في احدى جلساتنا .. قلت لها : يا دنيا اني اظلمك معي .. لست من ذلك النوع الذي يمكن أن يصبح بلا هدف وان ارضى لك ذلك المصير .. وما دمت احبك لا استطيع الاستغناء عن وجودك فالواجب يحتم عليّ أن اسبغ عليك حمايتي وامنحك اسمي .

ـ وقاطعتني في ألم والأسى ينهش قلبهـــا تحاول أن تخفي الخيبة الناطقة في ملامحها قائلة :

ولكن اولادي يا أحمد لا أستطيع البعد عنهم ..

ـ وأجبت في حزن على الفكرة التي خطرت ببالي : ليكن زواجنا سراً عن المجتمع .. وتعيشين مع اولادك .. واسافر أنا الى عملي ونلتقي في كل اجازة .. وعندما تسنح الفرص ..

واغرورقت عيناها بالدموع .. وضمت يدي الى صدرهـــا وهتفت في فرحة ونشوة : هذا هو الحل الوحيد .. ولسوف أكون لك زوجة وفية أترقب عودتك بفارغ الصبر .. سنعيش بضع ساعات نختلسها من الزمن.. ولكنها ستكون العمر كله.. والعمر أيام .. سأسعدك يا حبيبي .. حتى ولو لبضع ساعات ..

وسكت أحمد وأشعل سيجارة اخرى وترك تعابير وجهه تتكلم .. كان الصراع مرتسماً على ملامحه .. والصراع بـــين

ضميره وقلبه وواجبه . وقلت : ان قصتــك يا صديقي اغرب من الخيال .. ولكن بربك هل تزوجتما ؟ ـ واجاب احمـــد في ضيق وألم : ـ نعم ـ تم زواجنا في هدوء .. لم يحضره غير امها وصديقـــان لي .. لقد سجدت لله حمداً وشكراً في ذلك اليوم ، وشعرت وأنا أصعد السلم بالبيت الذي استأجرته ليكون مقراً للقائنا ان الحياة امامي جنة من الحب والتفاهم والتجاوب.. شعرت ان كلينا قد خلق للآخر .

ولكن فرحتنا لم تدم طويلاً .. فقد جاءتنا امهـــا في يوم زواجنا وهي باكية شاحبة واخبرتني بان ابن دنيا قد احترق وهو يلعب بقشة الكبريت وفارق الحياة في أحد المستشفيات.. وتلقيت النبأ بذهول .. وأنا لا أصدق ما سمعته ... كان لا بد أن تعرف دنيا بالحادث المفجع .. وهالها الأمر وذهبت الى بيتها كالمجنونة التائهة .. ذهبت بمفردها وتركتني ضائعاً من اثر النبأ المفجع .. يزيدني حزناً وعذاباً وألماً .. انـــه حدث يوم زواجنا .. وتمنيت في ذلك الوقت لو لم نتفق على الزواج .

وصمت احمد بعض اللحظـــات واصفر وجهه ـ وعض على شفته السفلى ، وقال وقد بكى اليأس في عينيه :

وعلى اثر الحادث فقدت دنيا عقلها ، وحار الاطباء بأمرها ثم نقلوها إلى مستشفى الأمراض العقلية ومنعوا عنها الزيارات .

ومسح احمد الدمعة الحائرة التي تساقطت على خده ـ واخذت

انظر إلى صديقي وأنا في ذهول مما سمعته ودون أن افوه بكلمة وقف أحمد بسكون وخطى نحو الباب مستأذناً . لم يترك لي مجالاً أن اعبر له عن مقدار ألمي وحزني ، فتركني في دوامة لا نظير لها .

ونظرت من النافذة أراقبه .. ورأيته يسير في الطريق هزيلاً .. حزيناً .. مطرق الرأس.. ينتظر دنيا تعود كما كانت جميلة .. ينتظرها كما تنتظر الأرض الجدباء ماء المطر .

فرفعت يدي أمسح دموعي المتساقطة وأنا أتمزق ألماً وحسرة من اجلها .. وحملت صورتها الأخيرة تحت اهدابي وانطلقت إلى الشارع .. حائراً اتبعه .



حنين

كان شيء كالأمل الضائع في عيني « نسمة » وهي تجلس في هذا المكان الوديع الجميل ، الذي شهد مولد حبها مع « عاصم » .. وانبثق منه ينبوع سعادتها ، انها تحج اليه كما يحج المؤمن الى كعبته ... وتحرص على الذهـــاب اليه .. بمجيء الربيع .. الربيع الجميل الذي تتفتح في رياضه اكام الحب ، وينتشر من نسيمه الشذي اريج الهوى .. ويتجلى في بهجته وروعته جمـال الوجود ، وسحر الحياة ..

في مثل هذه الايام ولد حبهما ... في مثل هذه الايام من الربيع الماضي ، بين الازهار اليانعة والاشجار المورقة ، وبين همسات النسيم الخـــافقة .. وقبـــلات الطبيعة الصامتـــة التقيا .....

عندما كانت « نسمة » تسير بمفردها .. شاردة ، حالمة ، وفي نفسها كآبه لم تعتدها ، وفي اعماقها حيرة وقلق .. لمحت قطة صغيرة قد انزوت في ركن ، واخذت تموء بما يشبه الانين ..

ورق قلب « نسمة » ، وشعرت بالشفقة عليهـــا .. وجثت على قدميهـــا الى جانب القطة ومدت لها يدها تربت على ظهرها.. ثم فجأة انهمرت دموعهـــا ، وقد رأت في حال القطة حالهـــا ... كانت مثلهـــا ضائعة ، تائهة ، فبكت بحرقة ، وأخذت تهمس لها بكل ما جاش في صدرها من احاسيس ..

ولم تشعر الا وصوت هادىء يقول من خلفها :

— « هل تشكو الآنسة الما ؟ ... »

فرفعت وجهها نحو المتحدث سريعاً .. كان رجـلا اسمر اللون ، وقور المظهر ، صادق التعبير ، واحتارت في البداية بم ترد عليه .. ثم قـــالت وما زالت القطـــة الصغيرة بين يديهـــا :

— « انها ضائعة .. مثلي ... »

وأطلت من عينيه نظرة لم تعرف في حياتها مثلهـــا ... حنين دفين ... وقال :

— « انت تبكين .. هل آلمك احد ؟ ... »

قالت في مرارة :

— « الحياة نفسها ... »

ونهضت واقفـة وشعرت أن عينيه ما زالتا تتـــأملانها في اهتمام وقال :

— « حرام ان تؤلم الحياة فتاة جميلة مثلك طيبة القلب، كان

يجب ان تمنحها كل ما هو جميل ورقيق .. »

قالت وهي تهم بمتابعة السير :

- « ضربة القدر دائماً عشواء ... »

ونظرت الى القطة بحنان وتابعت كلماتها :

- « سآخذ هذه القطة معي الى البيت ، فقد استحوذت على عواطفي ... »

وسار الرجل الوقور الى جانبهـــا ، دون ان تدعوه الى ذلك ، ولكنها رحبت بمـــا فعل .. لقد أحست فيه اتزانا وهدوءاً وسموا لم تعرف له مثيلاً .. كان في صوته وفي نظراته .. وحتى في خطوه لون آخر لم يمر عليها .. وقال :

- « هل تسمحين لي بأن اشاركك الطريق ؟ ... »

وبما عرف عنها من صراحة وجدت نفسها تسأله :

- « ولماذا تريد أن تفعل ذلك ؟ ... »

وارتسمت إبتسامة هادئة على شفتيه وهو يقول في شيء من الخجل :

- « رأيتك حزينة مهمومة .. وقلبي لا يطاوعني ان ارى دمعة تترقرق دون أن احاول تجفيفها »

والتفتت نحوه وتأملته طويلاً... وشعرت بأنه لم يكن عابثاً ولم يقصد غزلاً يؤثر به على مشاعرها .. كان صادقاً .. كل قسماته كانت تنطق بالمعنى النبيل الذي يقصده .

ويبدو انه أحس بدهشتها فعاد يقول وهو اكثر حرجاً :

ـ « ثم إن طريقنا واحد ... »

قالت في دهشة :

ـ « وكيف عرفت ؟ ... »

أجاب متحاشياً نظراتها :

« بل أعرف عنك الكثير يا آنسة « نسمة » ... »

وشعرت ببعض الضيق ، وعادت اليها الشكوك ، وتخيلت إنه الآخر يبحث عن النزوة العابرة ، وأوشكت أن تصرخ في وجهه ثائرة .. ولكن نظرة واحدة إلى عينيه ووجهه الهادىء أعادت الطمأنينة الى نفسها واستطرد يقول :

ـ « لقد شاء لنا حظنا السعيد ان نقطن حديثاً إلى جواركم ... »

قالت في قلق :

ـ « وماذا عرفت عني ؟ ... »

وتضرج وجهه بالدماء ثم قال :

ـ « الا تدعي لي شيئاً عزيزاً احتفظ به لنفسي ، على العموم لقد عرفت عنك ما حدثتني عنه عيناي وأحاسيسي ... »

وضحكت « نسمة » بسخرية وقالت :

ـ « ألافضل ألا تعرف حقيقة تعاستي ... »

وخيم الصمت عليهما لحظات ...

واستطردت « نسمة » قائلة :

ـ « ولكن لا اعرف حتى اسمك ... »

اجاب في ادب :

ـ « اسمي عاصم ... »

وكانت هذه هي بداية حبهما ، منذ ذلك اليوم .. منذ ذلك اليوم ... كانا يلتقيان كل يوم في هذا المكان ... يتبادلان الحديث الهادىء العميق في كل أمور الدنيا . . كانت معرفته بنسمة بداية صفحة جديدة مشرقة في حياتها .. فلم يكن مثل باسم مستهتراً .. متكبراً منافقاً . وتذكرت ذلك اليوم الذي وقفت في وجه ابيها ترفض الزواج من باسم باصرار ... لقد أرغموها على قبول الزواج منه ... ولكنها بعد ان عرفته على حقيقته أصرت على فسخ الخطوبة ...

أحبت نسمة عاصماً الحب الذي لم يطرق قلبها من قبل ، وأحست إنه الشخص الذي تتمنى لو ارتبطت حياتها بحياته حتى نهاية العمر .

وفي سرعة ذاهلة تم الزواج بينهما ، وأصر عاصم على ان تسافر نسمة معه الى بلده .. مقر عمله في الطائف دون حاجة الى الانتظار .. والواقع إنها كانت رغبتها هي ايضاً .

وعند وصولهما ، شعرت نسمة بأن اهله لم يرحبون بها ..

ولكنها أقنعت نفسها بأن عاصماً وحده هو الذي يهمها ما دام حريصاً عليها ، متعلقاً بها ، فلم يدع شيئاً في الوجود يعكر على صفو سعادتها ، ولكن كانت أمه دائماً تسمعها كلمات جارحة عن ملابسها الزاهية المكشوفة .. وزينتها الصارخة .

ولم تخف عليها النظرات التي كانت اخواته يرمقنها بها ، كان فيها احتقار ، وإستنكار ، ودهشة ! ..

وأخذ عاصم يتشبع من البيئة التي نشأ فيها ، شعر وهو الرجل المحافظ الذي تبدو اخواته آية في الحشمة والكمال .. .. لا بد من ان تطبق هذه الحشمة على زوجته .. وصارحها بذلك ، ولم تمانع نسمة لكي تبدو امام عينيه في الصورة التي يحب مثله ان يرى فتاة احلامه عليها ... في صورة اخواته بحشمتهن وتزمتهن .

ونجحت نسمة في ان تضفي على نفسها الثوب الذي اراده لها .. ان كان ذلك يزيده حباً وتعلقاً ، واحتراماً ... لم تعد ترتدي الثياب الزاهية ذات الصدور والاذرع العارية .. لم تعد تزين وجهها ، وتركته خالياً من المساحيق . . وشعرها الغزير الذي طالما تباهت بخصلاته وهي تنسدل على كتفها ، عقصته في نظام ...

وأستسلمت للواقع ... وتصورت بذلك انها كسبت المعركة .. وانها اصبحت في نظر اهله الزوجة الفاضلة ، المحافظة ،

التالية ...

وانقضى العــام وعادا الى لبنان لقضــاء الاجــازة الصيفية ...

وأستقبلها اخوتها واقرباؤهمـا بصخبهم المعتــاد ومرحهم الزائد . ونظرت الى زوجهــا في قلق وقد خشيت ان يصدمه هــذا الجو المتحرر المنطلق ، وعجزت عن فهم تعبير وجهه ... وتجسمت اوهامها عندما رأت اخواتها لا يحــاولن إخفاء شيء من مبادىء حياتهن .. المزاح .. والنكت .. والحريه في الحـديث .. وبدا « عــاصم » في اول الامر تائهـــا بينهم ، يقلب فيهم نظرات شاردة ضـائعة ، حتى كان ذلك اليوم الذي أصروا فيه على دعوتنــا لحضور حفل يقيمه صديق حميم لهم ، وعــارضت وتوقعت ان يرفض زوجهــا ، ولكنـه وافق مرحباً .

ووقفت الى جانبه تتأمل الصدى على ملامح وجهه ، والحفل على قدم وساق .. موسيقى ورقص وفتيــات بأثواب عــارية الصدور ، وشبان يمرحون ويتهامسون ويتوددون .. ولاحظت ان زوجها منصرف عنها بكل إهـتمامه إلى ناحية أخرى .. إلى فتاة جميلة .. كان يتأملها في نظرات عجيبة ، وأعتقدت انه يستنكر ثوبهـا الزاهي العاري .. ووجههـا باصباغه المتعددة .. وشعرها المحرر عن القيود ..

وكادت تذهب الى اخوتهـا وتثور في وجوههم لانهم أرادوا أن يحطموا سعادتها بتهورهم .. ولكن زوجها كان اسرع من تنفيذ قرارها ، فقد رأته يتحرك ويقترب من الفتاة ويقف الى جانبها يحدثهـا ، وقـد تسمرت نظراته على وجههـا .. وكانت تلك هي البدايه التي قادت سعادتهما الى الهاوية ..

فقد تغير « عاصم » منذ تلك الليلة - كل يوم أصبـح يخرج ولا يعود الا بعد منتصف الليل .. وكان يبدو شارداً ، تائهـاً لا يرد على أسئلتهـا ، ولا يحاول أن يقدم لهـا عذراً يبرر به سهره .

ثم كان ذلك الحديث الذي أثار ثورتها :

وقف زوجها يتأملها في امعان ثم قال :

— « نسمة لماذا لا تهتمين بملابسك .. اني الاحظ انهـا تبدو مهدولة عليك .. وطويلة اكثر من اللازم ؟ .. »

ورمقته في غيظ ، وغلت الدماء في عروقها :

— « الا تعجبك ملابسي المحتشمة ... »

وفي غضب هرعت إلى حجرة أخرى تبكي حظها .

وعلمت نسمة إن عاصماً له علاقة بالفتـاة التي قابلها في الحفل .. وجن جنونهـا .. وأنطوت على نفسهـا تقلب الامر على جوانبه ، وتحاول ان تعلل تصرفـات « عـاصم » ، كيف اقدم على ذلك وهو الذي زعم أنـه مـا أحب ولن يحب غيرهـا ؟ ..

لماذا يطعنها وقد أفنيت شخصيتها في ذاته ؟ ..

وقفت نسمة في مكان لقــائهما وهي تذرف الدمع وتسائل نفسها ماذا تفعل ؟ .. وكيف تتصرف ؟ ..

هل تواجهه بما عرفت ، وتطلب منه الانفصال؟ .. ولكنها تحبه وتريده ولن تدعه بتلك السهولة .. لن تستسلم ومــا زال قلبها أسير حبه ، إن زوجها يجري وراء تلك الفتاة لانها صورة منهــا قبل اهمالها لنفسها .. إنه يبحث عن حبه الضــائع في وجودها .

وادركت بأنها لا بد من أن تسترد زوجها ، ليس بالتهديد أو العنف ، أو الشرط ، وانما بعودتها الى الصورة التي احبهــا .. إلى المرأة المرحة الانيقة المتواجبة . التي تجد الطريقة اللبقة لتجعله يعيش بعيداً عن الجفاف الذي عرفه في مطلع حيــاته بين أفراد إسرته ألمترمتة ، وان تتمسك بالاخلاق الكريمة وأن تبدو دائماً أمام عينيه جميلة انيقة .. تماماً كما كانت من قبل ..

واستردت نسمة زوجها عندما عادت الى طبيعتها .. وقد ازدادت ثقة بنفسها وإيمانا بطريقتها وجمع التحرر مع الاخلاق الكريمة ...

وادي الدموع

« مسرحية في أربعة فصول »



زمن القصـــة : حديثة

مكان القصـــه : احدى مدن المملكة
العربية السعودية

ملابس الشخصيات : الملابس التقليدية لأهل البلاد
ماعدا الطبيب الذى يرتدي بذلة .

شخصيات المسرحية

١ - « عبير » فتاة في الثامنة عشرة من عمرها . من عائلة متوسطة وعلى جانب من الجمال . طالبة منتسبة بالجامعة.

٢ - « حنان » فتاة في سن عبير تقريباً أنهت الدراسة الابتدائية فقط من عائلة ثرية .

٣ - « طارق » شقيق حنان . شاب في العشرين من عمره . طالب بالجامعة بالسنة النهائية .

٤ - « دولت » والدة عبير . سيدة في سن الاربعين .

٥ - « احسان » والدة حنان وطارق .

٦ - « احمد عزمي » والد حنان رجل في الخامسة والاربعين .

٧ - « زينب » دادة لدى حنان . في سن الخمسين ،

٨ - « أحلام » فتاة في سن عبير وصديقة لها .

الفصل الاول

« حجرة جلوس فاخرة بمنزل احمد عزمي . نافذة في الصدر . وباب الى اليمين يؤدي الى داخل المنزل . وآخر الى اليسار يؤدي الى الخارج .
« الوقت عصراً .
« المنظر عند رفع الستار : والد حنـــان ووالدتهـــا يجلسان الى اليمين متجاورين ، حنـــان واقفة الى جوار المكتب تطالع في كتاب ويبدو على وجه الجميع التوتر »

●

أم حنان : حنان .... أنت عنيدة للغاية . الم اقل لك الف مرة ألا تحضري صديقتك عبـــير إلى البيت ؟

والد حنان : إسمعي يا حنـــان ... أنا ووالدتك نحرص على ألا تختلطي بهذه الفتاة ... فهي ليست من مستواك الاجتماعي .

حنان : (في تصميم) والله يا ابي إن عبير فتـــاة مثقفة وطالبة بالجامعة وطالما ساعدتني على

الاطلاع والمثابرة والدرس و ...

والد حنان : (مقاطعــاً) ولكن لا تنسي يا حنان ان إن والدهــا كاتب في شركة متواضعة وأنا .. (بعظمة) مدير عام بالحكومة ..

حنــان : (مقــاطعة) هذا لا يمنع ان تكون عبير صديقتي .

والدة حنان : (بشدة) لا تكوني متمردة مثل اخيك طارق (تشير باصبعها اليهــا منذرة) لا بد ان تحترمي رأي والدك .

حنــان : (بغيظ) ألا يكفي إنه إحترامــاً لرأيكما حرمت من إتمام دراستي ؟؟ ولكن عبير إبنة الكاتب - كما تقولان .. إستمرت في دراستها وسوف تتخرج من الجامعة وتصبح فتاة لها كيانها في المجتمع . وبيدهـا أقوى سلاح .. سلاح العلم والثقافة .. وعبير صديقتي أغنى مني بعلمها وثقافتها وإطلاعها .

زينب : (داخلة من اليسار) الآنسة عبير بالباب ..

الأم : (في حدة) أخبريها إن حنان ليست موجودة .

حنــان : (متوسلة) أرجوك ياأمي لا تمنعيني من لقــائها وسأحاول ان أتصرف معها بطريقة لبقة لا تجرح

كرامتها .

الأم : (بغيظ) إعلمي اذن ان هذه آخر مرة أسمح لك فيها بمقابلتها .

(تخرج من اليمين مسرعة)

حنان : (لزينب) يا دادة .. ادعيها للدخول .

زينب : (خارجة) مظلومة عبير والله .. (من الخارج بصوت مرتفع) تفضلي يا ست عبير ..

عبير : (داخلة) مساء الخير يا حنان . آسفه لتأخري .. هل أنهيت المذاكرة ؟

حنان : (مضطربة) اليوم لم أذاكر شيئاً يا عبير ..

عبير : يبدو عليك الاضطراب .. هل هناك شيء يقلقك ؟

حنان : (رافعة بصرها في ضيق) بالفعل .. إذ أشعر بضيق شديد .

عبير : (في حنان وتردد) .. هل لي ان أسألك عن سبب هذا الضيق ؟

حنان : (في مداراة) .. لا شيء . لا شيء يا عبير (في إبتسامة مصطنعة) هيا نبدأ المذاكرة ..

طارق : (داخلاً من اليسار) .. أنت هنا يا عبير (مبتسماً) اهلاً وسهلاً كيف حالك ؟

عبير : (في حياء) بخير والحمد لله .. اشكرك ..

حنان : (بضيق) طارق .. أرجوك أن تتركنا الآن . نحن سنبدأ المذاكرة ..

طارق : (متعجباً) وعلام الضيق يا أختي .. أنا على إستعداد ان اشترك معكما في المذاكرة .. ما رأيكما ؟

حنان : شكراً يا طارق .. وارجو ان تدعنا نذاكر ..

طارق : (باستهتار) ما دام الامر كذلك فلا بأس .. وسوف أجلس صامتاً اتصفح جريدة اليوم (يتناول جريدة من على المكتب . ويجلس الى اليسار متصفحاً الجريدة مع إختلاس النظر الى عبير)

حنان : (تأخذ بيد عبير لجهه اليمين وتجلسان) تعالي يا عبير ولنقرأ درس الصرف مرة اخرى ..

عبير : لا بأس يا حنان ..

زينب : (داخلة من اليمين) تلفون يا ست حنان ...

حنان . (تقف وتهم بالخروج من اليمين تتبعها زينب) لن اتأخر عليك يا عبير (تخرجان)

طارق : (في رقة) يا عبير .. لقد قررت ان افاتح ابي اليوم في امر خطوبتنا وزواجنا ..

عبير : (في إستحياء) اخشى ألا يوافق والدك يا طارق .

طارق : لا تخشي شيئاً ... سوف أصارحه بحقيقة شعوري نحوك . وأنت تعلمين جيداً مقدار تعلقي بك ..ومدى

إصراري على الزواج منك ..

عبير : « في وجل » وماذا لو مانع والدك وأصر على الرفض؟

طارق : لا تكوني متشائمة .. انا قوي الحجة وأعرف كيف أقنع أبي .. وقد وعدت والدتك بالأمس بأن افاتح والدي ووالدتي لكي يكونا على علم بخطوبتنا ..

عبير : هناك أمر يشغلني يا طارق ..

طارق : (مقترباً نحوها) ماذا ؟

عبير : لقد لاحظت اليوم ان هناك أمراً يضايق حنان وأظنها تخفي علي شيئاً .

(بلا مبالاة) لا أعتقد إن هناك شيئاً هاماً .. وإذا كان هناك شيء فلا بد إنه أمر لا يتعلق بك .. (في حنان) عبير .. لا تخشيْ شيئاً .. إن حنان تحبك وتعتز بصداقتك وقد سرت كثيراً عندما فاتحتها في أمر خطوبتنا .. إنها تحبك .. تحبك يا عبير ..

عبير : وانا .. أكن لها الحب والاحترام

حنان : (تدخل من اليمين) آسفة يا عبير .. لقد تأخرت عليك ..

عبير : (تنظر إلى ساعتها) لعلك مشغولة اليوم يا حنان .. ولهذا أرى من الافضل أن أنصرف الآن .. فان أمي بمفردها في المنزل .

حنان : ولكننا لم نبدأ الدرس بعد ..
طارق : الدرس شيء هام .. لا تضيعا الفرصة ..
عبير : ارجو معذرتي .. ولنؤجل الدرس الى يوم آخر .
(تهم بالانصراف)

طارق : (يمد يده لعبير) شيء مؤسف .. كنت أود أن تبقي معنا .. سأراك غداً .. مع السلامة .
(تخرج عبير وخلفها حنان من اليسار)

الأب : (داخلاً من اليمين) أنت هنا يا طارق ؟

طارق : مساء الخير يا أبي ..

الأب : (يجلس الى اليمين) ما وراءك من أخبار ؟

طارق : (بعد تفكير وتردد) أريـد يا أبي أن أفاتحك في أمر يهمني .

الأب : خيراً يا بني ..

طارق : لقد قررت أن أتزوج يا أبي ..

الأب : (بفرحة) أخيراً اصبحت تفكر بعقلك .. حسناً .. هذا شيء يسعدنا يا إبني .. وانا اذن سوف أخطب لك إبنة السيد حامد فهمي وزير المعـــارف .. بنت أصل . ونسب يشرف .. ما رأيك ؟

طارق : (مطرقاً وبأسف) ولكن يا أبي ..

الأب : (مقاطعاً وبدهشة) ولكن ماذا يا طارق ؟ عجباً !

أتمترض على زواجك من إبنة وزير ؟

طارق : بل أريد أن أقول لك يا أبي إنني قد وجدت الفتـــاة التي إختارها قلبي .

الأب : (باستهتار) ومن عساهـــا تكون هذه التي ملكت قلبك ؟

طارق : إنها عبير صديقة أختي حنان .

الاب : (ينهض في غضب) تقصـــد مدرّسة حنـــان بنت إسماعيل ..

طارق : تمام يا أبي ..

الاب : ماذا تقول ؟ هل فقدت عقلك ؟ (يضرب كفاً بكف والله عال .. إبني يتزوج بنت كاتب فقير .. هل يعقل هذا ؟ أنا المدير العام أناسب كاتب .. ؟

طارق : يا أبي أرجوك أن تصغى إلي .. الفقير يا أبي لا يعيب الناس .. عبير إبنة رجل متوسط الحـــال فعلاً .. ولكن ..

الاب : (مقاطعاً) أقل من المتوسط بكثير ..

طارق : ولكن عبير فتاة متعلمة مهذبة وأهلهـــا أناس طيبون جداً ..

الاب : (بحدة وعصبية منذراً) سوف أتبرأ منك وأحرمك من الميراث لو صممت ان تتزوجها .

طارق : ارجوك يا أبي حـــاول ان تفهمني .. اني أحب هذه الفتاة ولن يفرقنا .. سوى الموت ..

الاب : (في ثورة) حب ماذا ؟ كلام فـــارغ .. منذ متى في تقاليد العائلة حدث هذا الشيء .. كيف تتجرأ وتقول إنك تحب .. هل جننت ؟

(تدخل الام على الصياح)

الام : (في فزع) ما ذا حدث ؟

الاب : (إبنك يا سيدتي ..

الام : (في خوف وهي تنظـــر الى إبنهـــا) مـــاذا حدث له ؟

الاب : (في سخريه) يريد أن يتزوج من صديقة حنان عبير بنت الكاتب ..

الام : (تلتفت إلى إبنها في ذعر) ماذا تقول ؟

الأب : إستغلت الظروف لتوقعه في حبالهـــا وتحظى بعريس ولم تجد غير ابنك العبيط !

طارق : (في غضب شديد) عبير فتاة شريفة والشاب الذي سيتزوجها محظوظ في حياته .

الاب : (يشير بيده غاضباً) هذه آخر مرة اسمع منك هـذا الكلام الفارغ .. أغرب عن وجهي .

طارق : ولكن ..

الاب : (يصيح مقاطعاً) اخرج من الغرفة ايها المجنون ...
اخرج ... اخرج ..

(يقفل الستار وإستراحة قصيرة)





الفصل الثاني

« المكان : حجرة جلوس متواضعة في منزل عبير . الحجرة مكونة من طقم واحد . (يجلس طارق وعبير وأمها) »

●

الأم : هل فاتحت يا ابني والدك بموضوع زواجكما ؟

طارق : (يتنهد في ضيق) كما افهمتك يا بثينة من قبل.. المسألة عايزه بعض الصبر .. أريد ايجاد طريقة يقتنع بهـا أبي لاني كما تعلمي مـا زلت طالباً في الجامعة ، وربما ينزعج من طلبي هذا .

الأم : يا ابني لقد أخبرتك من قبل أن تنتظر الى أن تنتهي دراستك لكي لا يرنض والدك.. ولكنك تشبثت برأيك .

طارق : إنها اسلم طريقة مـا دمت مصمماً على الزواج من عبير .. ولن تستطيع أي قوة ان تفرقنا .. وسوف يوافق ابي عندما أفاتحه ..

الأم : ربما يمانع من أجل حالتنا المادية .. ونحن أناس على

قد حالنا ولا نملك شيئاً .

طارق : لاتقولي مثل هذا الكلام إنني احب عبير لشخصها لن أجد أفضل منها لتشاركني حياتي .

الام : (وهي تنهض) أتمنى من الله ان يوفقكما .

طارق : اشكرك يا بثينة .

الام : (تخرج) سوف اذهب لاحضر لك القهوة ..

عبير : هناك أمر تخفيه عني .. أفصح عما يجول بخاطرك : يجب ألا تخفي عني شيئاً .. لقد مر على تعارفنا مدة طويلة .. واعتدنا حب الصراحة والصدق وتقابلت أفكارنا ومبادؤنا . تكلم .. ومهما كانت الحقيقة فأنا على إستعداد لسماعها .

طارق : « يحدق في عينيها » تعلمين يا عبير إنني أريدك أن تكوني زوجتي ، ولكن ماذ أفعل وأبي يسيطر عليه حب المال والعظمة .. وأمي سيدة متأنقة تحب المظاهر ..

عبير : « تنظر إليه في فزع » هل رفض والدك فكرة زواجنا ؟

طارق : (يجيب وهو مطرق الرأس) لم أستطع مصارحة والدتك لانها سوف تثور وتفسخ الخطبة .. فلقد هددني أبي بأن يتبرأ مني ويحرمني من الميراث . .

وامي تبكي وتقول ان هذا الزواج لو تم فسيكون السبب في موتها .. لا بد من الانتظار حتى أنهي دراستي .. ثم أعمـل .. وبذلك لن يهمني شيء وليفعلوا فيما بعد ما يشاؤون ..

عبير : (في حزن) إني اعلم لماذا لم يوافق والدك .. لانني فقيرة لست من مستواك ..

طارق : لا تقولي هذا الكلام .. أنا لا يهمني إن كنت فقيرة أو غنية .. المهم اني أريدك كما انت .. حيـاتي في البيت أصبحت سلسـلة متصـلة من صراخ دائم ..

عبير : يا طارق .. لا أريد أن نفترق أبداً ... ولكن لا أريد أن أكون سبب شقائك ..

طارق : أنت تكدرينني .. لا تذكري كلمة فراق .. أنت تعلمي بأنني لا أستطيع أن أعيش بدونك ..

عبير : إذن ما هو الحل؟

طارق : نتزوج ..

عبير : لا يمكن من غير موافقة أهلك . سوف تكرهني في المستقبل .

(تبكي) اريد حياة مستقرة ، سعيـدة ، بدون دموع .

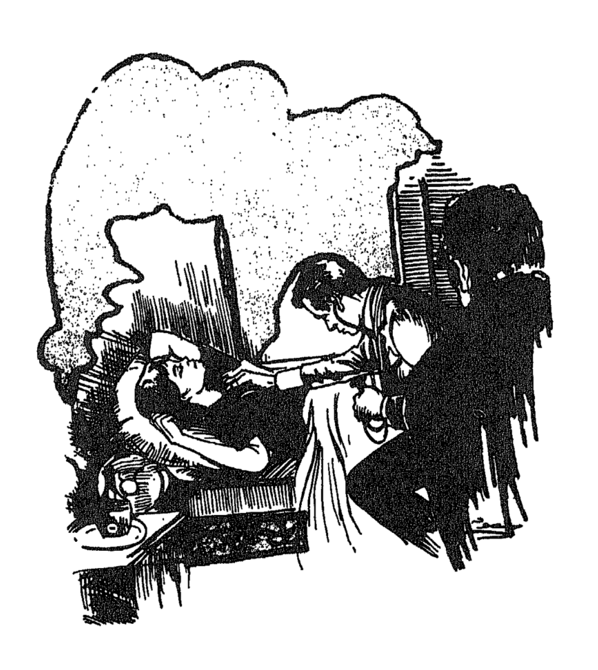
طارق : (ينهض ويجلس بجانبها) عبير ارجـوك لا تبكي
.. لا أريد أن أرى دموعك .. أريدك أن تبتسمي
دائماً سأجد حلاً يرضيك .. (يعطيها منديـــلاً)
إمسحي دموعك . الأفضل ألا تحضري الى المنزل
لكي لا يضايقك أحد.

عبير ، (في حزن) اذن لن أرى حنان ؟

طارق : سأحضرهـــا معي غـداً .. والآن .. ابتـسمي
يا عبير ..

(تبتسم عبير ويقفل الستار)





الفصل الثالث

« المكان : منزل عبير — عبير تتحدث الى امها »

●

عبير : كلمت طارق منذ لحظات .. سوف يحضر بعد ربع ساعة ومعه حنان ..

الأم : حنان فتاة طيبة القلب أرجو أن يصادفها ابن حلال .

عبير : إنها مخطوبة لابن عمها الذي يدرس الطب بانجلترا .

الأم : ارجو لها التوفيق .. ستكون مثال الزوجة الكاملة ..

(نقر على الباب .. تفتح عبير ويدخل طارق وحنان)

طارق : مساء الخير .

الأم : أهلا وسهلا .

حنان : (في لهفة) اشتقت اليك يا عبير ..

الام : عبير يا ابنتي لم تتوقف دقيقة عن ذكرك ..

حنان : إن محبتها عندي كبيرة .. واني سعيدة لأنها ستتزوج أخي .

الام : المهم ان يوافق والدك .

حنان : ان شاء الله .

طارق : يظهر انكما نسيتماني .. (يضحك الجميع) وانشغلتما بحنان ..

طارق : (ينظر الى ساعته) سأذهب الى المطار لاستقبال ابن عمي وسأترك حنان عندكم .

عبير : (تنظر إلى حنان) خالد سيصل اليوم ؟

طارق : وقد انهى دراسته بتفوق .

عبير : (تبتسم) إذن سنفرح قريباً بحنان.. (تشاركها حنان في خجل)

(توصل عبير طارق إلى الباب وتعود قائلة :)

عبير : كم أنا سعيدة يا حنان .. أخيراً ستتحقق أمنيتك وحلم طفولتك .

حنان : من يدري ياعبير .. أنا لم أر خالد منذ سنوات ..

يبدو ان الدراسة قد شغلته .

الأم : لا تشغلي بالك .. باذن الله كل شيء سيتم حسب ما ترغبين وتزنك عروسة قريباً .

(تدخل احلام .. تسلم على الأم ثم عبير ثم حنان)

عبير : أقدم اليك حنان صديقة طفولتي .

احلام : تشرفنا .

حنان : لقد سمعت عنك كثيراً من عبير وكنت في شوق لمعرفتك .

(تخرج الأم)

أحلام : أشكرك ..

عبير : ما اخبارك اليوم يا أحلام ؟

أحلام : هل سمعتم عن القبيلة التي حضرت إلى الرياض ثائرة من أجل فتح المدارس البنات بقريتهم ؟

عبير : وماذا جرى ؟

أحلام : حضر مجموعة من الرجال يطالبون باغلاق مدارس البنات التي بدأت بافتتاحها الحكومة قالوا إنهم لن يسمحوا لبناتهم بالذهاب إلى المدرسة.. لأنه ليس من التقاليد تعليم الفتيات..

عبير : وماذا فعل المسؤولون ؟

أحلام : لقد رفضوا طلبهم وأمروا بترحيلهم إلى بلدتهم .

حنان : الحمد لله الذي اوجد لنا حكومة يقظة ترعى مصلحة البلاد ..

عبير : اية أمة تستطيع النهوض من كبوتها اذا كان نصفها لا يزال قاعداً وراء أسوار الجهل ؟

أحلام : يجب على كل رب اسرة أن يسعى لتعليم بناته فالعلم نور تستضيء بــه عقولهم ويقيهن داء الفقر ويعينهن على تربية النشء .

عبير : بدون شك .. المرأة المتعلمة تكون زوجة صالحة .. وأماً حكيمة .. ومواطنة مجاهدة تستطيع ان تنشيء جيلاً جديداً مثقفاً ويتسم طابعها بعزيمة قوية راسخة تدرك مسؤوليتها تجاه نفسها ووطنها وأمتها .

أحلام : الأمة إنما هي لفظة مشتقة من كلمة (أم) . .

عبير : لقد أوجب الاسلام تعليم الفتاة .. العلم الذي يهيؤها للغاية المقصودة من وجودهـا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) يعني سيدتنـا عائشة رضي الله عنها .

أحلام : نعم .. لقد كانت سيدتنا عائشة تجمع السيدات المسلمات وتبصرهن بتعاليم الدين وتصدر إليهن الفتـوى فيما اختلفـوا عليه من تفسيرات

وتأويلات .

الأم : ان حديثكن يشرح القلب .

حنان : كم أشعر بالندم الشديد لأني لست متعلمة .. لقد حرمني أبي من العلم ولولا مساعدة عبير لكنت جاهلة بالمرة .

عبير : اشكري ربك على الأقل .. انت تعرفين القراءة والكتابة .. هناك كثيرات من الفتيات الأميات اللواتي حرمن من العلم .

احلام : في عصرنا هذا لا بد لكل فتاة وسيدة من ان تسعى لتعلم القراءة والكتابة ، ولا تقول أبداً .. لقد فات الأوان .. أو أن تضيع الفرص التي تسنح لها .

عبير : وكما قال الشاعر :

« الام مدرسة اذا أعددتها
اعددت شعباً طيب الاعراق »

(يدق الباب ، تنهض الأم لترى من بالباب ثم تعود)

الأم : طارق ينتظر في الصالة ويريد محادثتك يا عبير ..

احلام : (تنهض) سوف استأذن لان عمتي ستحضر عندنا اليوم .. سأراك غداً يا عبير .

عبير : مع السلامة (تخرجان معاً)

(تدخل عبير مع طارق وهما شاحبي اللون)

حنان : (في تلهف) هل وصل خالد ؟

طارق : (في ضيق) نعم وصل .

حنان : ماذا بك ؟ يبدو انك لست سعيداً لحضوره ..

طارق : لا شيء ..

حنان : أفصح عما عندك .

طارق : خير لك أن تعرفي الحقيقة الآن يا حنان وتنسي الاحلام التي تعيشين فيها .

حنان : (في فزع) أتوسل اليك .. ماذا حدث ؟

طارق : (في ألم) لقد تزوج خالد من فتـــاة أجنبية وأحضرها معه .

حنان : ماذا تقول ؟ خـــالد تزوج ! .. لا أصدق .. لا أصدق ..

(تبكي حنان بحرقة وتلقي بنفسها على عبير)

عبير : لا تقسي على نفسك يا حنان.. استسلمي للواقع .

الأم : لا حول ولا قوة إلا بالله .

حنان : ولكن ما سبب زواجه ؟ (من خلال دموعها) نحن مخطوبان ..

طارق : لقد قـــال لي بصراحة (يا طارق كان عليّ ان أتزوج من فتـــاة متعلمة تفهمني وأفهمها .. وتساعدني في عملي .)

حنان : (تصيح وهي تبكي) سمعت يا عبير .. انه يريد

فتاة متعلمة .. هذا ما جناه أبي عليّ .. لقد
حرمني من التعـــلم وضيـع مني الشخص الذي
أحببته منذ طفولتي .. (تبكي في عصبية) إني
أمقته .. فهو السبب في شقائي .. اني اكره
الحياة .. أكره المجتمع.. أكره الناس .. أريد
أن أموت .. أن أموت .

الام : يا بنيتي هوّني عنك .. رفقاً بنفسك ..

حنان : لماذا أعيش ؟ . لقد ضاعت آمـــالي في الحياة
وسأقضي بقيـــة عمري غارقة في وادٍ من
الدموع .

(يغمى عليها وتقع على الأرض)

الفصل الرابع

« حنان ملقاة على السرير في غيبوبة وحولها الطبيب وامها واخوها طارق » .

●

الأم : يا دكتور ارجوك طمنـّي عن صحتها لها اربعة اشهر على هذه الحــــالة .. تصحو بعض الوقت ثم تعود الى غيبوبتهــا .. (تبكي الأم) إني أخشى أن أفقد إبنتي فهي وحيدتي .

الطبيب : يا سيدتي إن الصدمة التي حدثت لها كانت قوية الى حد انها سببت لها أزمـــــة نفسية أثرت على عقلها .

الأم : (تبكي) إنها كلما رأت أباهـــا تصاب بحالة هستيرية شديدة وتسيل دموعها على خديها وهي في غيبوبتها .

الطبيب : لقد عرفت من السيد طارق إنه كان السبب في إحداث العقدة النفسية التي اصابتها ولازمتها منذ الصغر .

الأم : ولكنه لم يقصد إيذاءهـا .. لقد رأى أن تعلـّم

الفتاة شيء ليس مرغوباً فيه طبقاً لعادات هذه البلاد وتقاليد العائلة ! !

طارق : أرجوك يا دكتور أن توجهنا لشفائها بأية طريقة .. لا بد ان يكون لها علاج في اي بلد في الخارج .

(يدخل الأب في حزن)

الأب : نعم يا دكتور .. طارق على حق .. مالي كله تحت أمرك (تدمع عيناه) على أن تعود ابنتي كما كانت .

الطبيب : هنـــاك . طريقة واحدة .. هو أن تسافر إلى لندن لكي تعـــالج في مستشفى الأمراض العقلية .. ربما يوجد أمل في شفائها .

الأب : سوف أرتب أمر سفرهـــا غداً وسترافقهـــا والدتها .

الطبيب : إذن سوف أكتب لصديقي بالمستشفى هناك كي يعتني بها .

(يخرج الأب والطبيب)

الأم : يا لهـــا من مصيبة .. حنان تفقد عقلها ؟ . يا رب اكتب لها الشفاء ..

طارق : لا تحزني يا أمي .. وسوف تشفى بإذن الله .

الأم : (تنظر إلى ابنهـــا في حنان) سأفاتح أبيك

اليوم بخصوص زواجسك بعبير .. نحن يا إبني نريد سعادتكما وهناءكما .

طارق : على العموم .. كما أخبرتك أمس لن اسمح لأحد ان يحطم حياتي (يدخل الاب ويسمع حديثهما) ويكفي انكما حطمتما حيـــاة اختي المسكينة بسبب تزمتكما ورجعيتكما .. رحم الله ذلك الزمن الذي كان الأهـــل يفرضون فيه على أولادهم ما لا يرغبون .

الأم : يا ابني لا تلمنا .. نحن نريد الخير لكما .. ولقد مانعنا بزواجك لأننا رأينـــا انها ليست من مستواك .

طارق : يا أمي نحن بشر متساوون .. وليس هناك فرق بين الغني والفقير .. والمهم أخـــلاق الانسان وكفاءته في الحياة .

الأم : إفعل ما تريد .. ولن أتدخل في حياتك . يكفي ما حدث لاختك .

الام : يا طارق .. إعمل ما يمليه عليك فكرك ولن أقف في طريقك .. وفعلاً رحـــم الله ذلك الزمن الذي كان الاهل فيه يتمسكون بالعادات والتقـاليد ويفرضون على اولادهم عدم الزواج وعدم العلم فيحطمون آمالهم وحياتهم .. فالى

مستقبل جديد طريقه العلم والأمل والازدهار
والتقدم .

طارق : (محتضناً أبيه في فرح شديد) اشكرك ياأبي..
الآن استطيع ان اقول بأنهناك تفاهماً بيننا..
وانك أباً عظيماً .. (ينظر تجـــاه حنان)
عندمـــا تسمع حنان هذا الكلام ستشفى
باذن الله .
وسوف لن تندمـا على موافقتكما على زواجي
من عبير فهي مثال الفتاة السعودية الفاضلة .

(ستار)

فهرست

الصفحة

الاهداء ٥
المقدمة ٧
دعني والأسى ٩
قصة أم ٢١
غيرة ٣٠
جهاد ٣٩
جناية أب ٤٩
معذبة ٦٣
طفولة ٧١
عاشت للذكرى ٧٩
حرمان ام ٨٩
صراع في نفسي ٩٧
وراء الغيب ١٠٣
حنين ١١١
وادي الدموع ١٢١

المؤلفة والكتاب



سميرة بنت الجزيرة العربية .. نجم اضاء في دنيا الادب والقصة ولفت الانظار بسرعة تألقه ولمعانه .. اما صاحبة الاسم، فهي كاتبة سعودية مثقفة، من اسرة كريمة، اتخذت الكتابة هواية وجعلت الدعوة الى اصلاح احوال المرأة في بلادها هدفا مقدسا لها . وهي تعتز بهذا الاسم الادبي الان، ولا ترضى عنه بديلا، رغم انها في البدء قد تسترت وراءه مرغمة بسبب ظروف الاسرة والمجتمع في بلادها .

وهذه المجموعة القصصية الجديدة «وادي الدموع» تعتبر من اروع ما نشر للكاتبة حتى اليوم . وهي قصص واقعية منتزعة من مسرح الحياة في الجزيرة العربية، تحمل العبرة في كل سطر من سطورها وتدعو الى بناء مجتمع منفتح تكون فيه المرأة عنصرا نشيطا مثقفا متحررا، مجتمع جديد، لا مكان فيه للتخلف والجهل والدموع .

الناشر

